كتاب فضائل القرآن

قال البخاريُّ رحمه الله:

كيفَ نزولُ الوحيِ وأولُ ما نزل

قال ابن عباس: المهيمنُ: الأمين. القرآنُ أمينٌ على كلِّ كتابٍ قبلَه.

حدثنا عُبيد الله بن موسى، عن شيبان، عن يحيى، عن أبي سلمة قال: أخبرَتْني عائشةُ وابنُ عباسٍ قالا: لبِثَ النبيُّ ﷺ بمكةَ عشرَ سنينَ ينزِلُ عليه القرآن، وبالمدينة عشرَ سنين[١].

ذكرَ البخاريُّ رحمه الله كتاب «فضائل القرآن» بعد كتاب التفسير؛ لأنَّ التفسيرَ أهمُّ؛ ولهذا بدأ به.

وقولُ ابن عباس في تفسيرِ المهيمن إنَّما يريد به البخاريُّ قولَه تعالى في المائدة بعد ذكر التوراة والإنجيل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله: حدثنا المثنَّى، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني معاوية، عن علي - يعني ابنَ أبي طلحة - عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ قال: المهيمن: الأمين. قال: القرآن أمينٌ على كلِّ كتابٍ قبلَه[٢].

وفي رواية: شهيداً عليه[٣].

وقال سفيان الثوري وغيرُ واحدٍ من الأئمة عن أبي إسحاق السَّبيعي، عن

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٧٨) و (٤٩٧٩).

(٢) تفسير الطبري ٦/ ٢٦٧.

(٣) تفسير الطبري ٦/ ٢٦٦.

التَّميمي، عن ابن عباس: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ قال: مؤتمناً[١]. وبنحو ذلك قال مجاهد والسُّدِّي وقَتادة وابنُ جُرَيجٍ والحسن البصري وغيرُ واحدٍ من أئمة السلف.

وأصل الهَيمنة: الحفظ والارتقاب، يقال إذا رَقَبَ الرجلُ الشيءَ وحفِظَه وشهِدَه: قد هيمنَ فلانٌ عليه، فهو يهيمن هيمنةً، وهو عليه مهيمن، وفي أسماء الله تعالى: المهيمن، وهو الشهيد على كلِّ شيء، والرقيب: الحفيظ بكلِّ شيء.

وأما الحديث الذي أسنده البخاري: أنه عليه السلام أقامَ بمكةَ عشْرَ سنينَ ينزِلُ عليه القرآن، وبالمدينة عشراً، فهو مما انفرد به البخاري دون مسلم، وإنما رواه النسائيُّ من حديث شيبان ـ وهو ابن عبد الرحمن ـ عن يحيى ـ وهو ابن أبي كثير ـ عن أبي سلمة، عنها[٢].

وقال أبو عُبيد القاسم بن سلاَّم: حدثنا يزيد، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أُنزِل القرآنُ جملةً واحدةً إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة، ثم قرأ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[٣] [الإسراء: ١٠٦]. هذا إسناد صحيح.

أما إقامته بالمدينة عشراً فهذا ما لا خلافَ فيه، وأما إقامته بمكةَ بعد النبوة فالمشهورُ ثلاثَ عشْرةَ سنة؛ لأنَّه عليه الصلاة والسلام أُوحيَ إليه وهو ابنُ أربعين سنة، وتوفي وهو ابنُ ثلاثٍ وستين سنةً على الصحيح، ويَحتمِلُ أنه حذَفَ ما زاد على العشرة اختصاراً في الكلام؛ لأنَّ العربَ كثيراً ما يحذِفون الكسور في كلامهم، أو أنهما إنما اعتبرا قَرْنَ جبريل عليه السلام، فإنَّه قد روى الإمام أحمد أنه قُرِنَ به عليه السلام ميكائيلُ في ابتداء الأمر، يُلقي إليه الكلمةَ والشيء، ثم قُرِنَ به جبريل[٤].

---

(١) تفسير الطبري ٦/٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

(٢) سنن النسائي الكبرى (٦٩٧٧) .

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد ص٢٢٢ .

(٤) وعزاه السيوطي في «الإتقان» ١/١٤٣ إلى أحمد في «تاريخه» من كلام الشعبي، وفيه «إسرافيل» بدلاً من «ميكائيل».

ووجه مناسبة هذا الحديث بفضائل القرآن: أنه ابتُدِئ بنزوله في مكانٍ شريف، وهو البلد الحرام، كما أنَّه كان في زمنٍ شريفٍ، وهو شهر رمضان، فاجتمع له شرفُ الزمان والمكان؛ ولهذا يُستحَبُّ إكثارُ تلاوةِ القرآن في شهر رمضان؛ لأنه ابتُدِئ نزولُه فيه؛ ولهذا كان جبريل يُعارِضُ به رسولَ الله ﷺ في كلِّ سنةٍ في شهر رمضان، فلمَّا كان في السنة التي تُوفِّي فيها عارضَه به مرتين تأكيداً وتثبيتاً.

وأيضاً في هذا الحديث بيانُ أنه من القرآن مكيٌّ ومنه مدنيٌّ، فالمكيُّ: ما نزل قبل الهجرة، والمدني: ما نزل بعد الهجرة، سواءٌ كان بالمدينة أو بغيرها من أيِّ البلاد كان، حتى ولو كان بمكة أو عرفة.

وقد أجمعوا على سورٍ أنها من المكيِّ وأُخَرَ أنها من المدني، واختلفوا في أُخَر، وأراد بعضُهم ضبْطَ ذلك بضوابطَ في تقييدها عُسرٌ ونظر، ولكن قال بعضهم: كلُّ سورةٍ في أولها شيءٌ من الحروف المقطعة فهي مكية إلا البقرة وآل عمران، كما أنَّ كلَّ سورةٍ فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فهي مدنية، وما فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فيَحْتَمل أن يكون من هذا ومن هذا، والغالب أنه مكي، وقد يكون مدنياً كما في البقرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

قال أبو عُبيد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا من سمع الأعمش يُحدِّث عن إبراهيم، عن علقمة: كلُّ شيءٍ في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فإنه أُنزِلَ بالمدينة، وما كان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فإنه أُنزِلَ بمكة[1].

ثم قال: حدثنا علي بن معبد، عن أبي المَلِيح، عن ميمون بن مِهْران، قال: ما كان في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ و﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ فإنه مكِّيٌّ، وما كان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) فضائل القرآن ص٢٢٢ ، وفي إسناده إبهام الراوي عن الأعمش.

﴿ءَامَنُوا﴾ فإنه مدني[١].

ومنهم من يقول: إنَّ بعض السُّوَرِ نزلَ مرتين، مرةً بالمدينة ومرةً بمكة، والله أعلم.

ومنهم من يستثني من المكيِّ آياتٍ يدَّعي أنها من المدني، كما في سورة الحج وغيرها.

والحقُّ في ذلك ما دلَّ عليه الدليل الصحيح، فالله أعلم.

وقال أبو عُبيد: حدثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، قال: نزلتْ بالمدينة سورةُ البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والحج، والنور، والأحزاب، والذين كفروا، والفتح، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والحواريون، والتغابن، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ والفجر، و﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾، و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾، و﴿لَمْ يَكُنِ﴾، و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، وسائر ذلك بمكة[٢]. وهذا إسنادٌ صحيح عن ابن أبي طلحة مشهور، وهو أحدُ أصحاب ابن عباس الذين رَوَوا عنه التفسير.

وقد ذَكرَ في المدنيِّ سُوراً في كونها مدنيةً نظر، وفاته الحجرات والمُعوِّذات.

الحديث الثاني: وقال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا مُعتَمِرٌ قال: سمعتُ أبي عن أبي عثمانَ قال: أُنبِئتُ أنَّ جبريلَ عليه السلام أتى النبيَّ ﷺ وعندَه أمُّ سلمة، فجعلَ يتحدَّثُ، فقال النبيُّ ﷺ: «من هذا ؟» ـ أو كما قال ـ قالت: هذا دِحْيةُ. فلمَّا قامَ قلتُ: واللهِ ما حسِبتُه إلا إيَّاه، حتى سمعتُ خُطبةَ النبيِّ ﷺ يُخبرُ خبَرَ جبريل ـ أو كما قال ـ قال أبي: فقلتُ لأبي عثمان: ممَّنْ سمعتَ هذا؟ فقال: من

(١) فضائل القرآن ص٢٢٢ ، وإسناده صحيح.

(٢) فضائل القرآن ص٢٢١ .

أسامة بن زيد[١].

وهكذا رواه أيضاً في علامات النبوة عن عباس بن الوليد النَّرسي. ومسلم في فضائل أمِّ سلمةَ عن عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن عبد الأعلى، كلُّهم عن معتمر بن سليمان، به[٢].

والغرضُ من إيراد هذا الحديث ها هنا أنَّ السفير بين الله وبين محمد ﷺ جبريلُ عليه السلام، وهوملَكٌ كريمٌ، ذو وَجاهةٍ وجلالةٍ ومكانةٍ، كما قال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ الآيات [التكوير: ١٩-٢٢]. فمدحَ الربُّ تبارك وتعالى عبدَيه ورسولَيه جبريلَ ومحمداً ﷺ، وسنستقصي الكلامَ على تفسير هذا المكان في موضعه إذا وصلنا إليه، إن شاء الله تعالى، وبه الثقة.

وفي الحديث فضيلةٌ عظيمةٌ لأمِّ سلمةَ رضي الله عنها ـ كما بيَّنهُ مسلمٌ رحمه الله ـ لرؤيتها لهذا الملَكِ العظيم، وفضيلةٌ ـ أيضاً ـ لدحيةَ بنِ خليفةَ الكلبي، وذلك أنَّ جبريلَ عليه السلام كان كثيراً ما يأتي رسولَ الله ﷺ على صورة دِحيةَ، وكان جميلَ الصورة ـ ﷺ ـ وكان من قبيلة أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي، كلُّهم يُنسَبون إلى كلب ابن وبرة، وهم قبيلةٌ من قُضاعة، وقُضاعةُ قيل: إنهم من عدنان، وقيل: من قحطان، وقيل: بطنٌ مستقلٌّ بنفسه، والله أعلم.

الحديث الثالث: حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا اللَّيث، حدثنا سعيد المقبُري، عن أبيه، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال النبيُّ ﷺ: «**ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أُعطيَ [من الآيات][٣] ما مثلُه آمنَ عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيتُ وحياً أوحاه**

(١) صحيح البخاري (٤٩٨٠).

(٢) صحيح البخاري (٣٦٣٤)، وصحيح مسلم (٢٤٥١).

(٣) ما بين حاصرتين ليس في النسخة الخطية، وأُثبت من صحيح البخاري.

اللهُ إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرَهم تابعاً يومَ القيامة»[١].

ورواه أيضاً في الاعتصام، عن عبد العزيز بن عبد الله. ومسلم، والنسائي، عن قُتيبة. جميعاً عن اللَّيث بن سعد، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبيه ـ واسمه كيسان المقبُري ـ به[٢].

وفي هذا الحديث فضيلةٌ عظيمةٌ للقرآن المجيد، على كلِّ معجزةٍ أُعطيها نبيٌّ من الأنبياء، وعلى كلِّ كتابٍ أنزله، وذلك أنَّ معنى الحديث: ما من نبيٍّ إلا أُعطيَ من المعجزات ما آمن عليه البشر، أي: ما كان دليلاً على تصديقه فيما جاءهم به واتَّبعه منِ اتَّبعه من البشر، ثم لمَّا ماتَ الأنبياءُ لم تبقَ لهم معجزةٌ بعدَهم إلا ما يحكيه أتباعُهم عما شاهده في زمانه، فأما الرسولُ الخاتِمُ للرسالة محمدٌ ﷺ، فإنما كان مُعظَمُ ما آتاه اللهُ وحياً منه إليه منقولاً إلى الناس بالتواتر، ففي كلِّ حينٍ هو كما أُنزِلَ، فلهذا قال: «**فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعاً**»، وكذلك وقع، فإنَّ أتباعَه أكثرُ من أتباع الأنبياء؛ لعموم رسالته، ودوامها إلى قيام الساعة، واستمرار معجزته؛ ولهذا قال الله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، ثم تقاصَرَ معهم إلى عشرِ سُوَرٍ منه، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣] ثم تحدَّاهم إلى أن يأتوا بسورةٍ من مثله، فعجَزوا، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨]، وقصر التحدِّي على هذا المقام في السُّوَرِ المكيَّةِ ـ كما ذكرنا ـ وفي المدينة أيضاً كما في سورة البقرة، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * فَإِن لَّمْ

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٨١).

(٢) صحيح البخاري (٧٢٧٤)، وصحيح مسلم (١٥٢)، وسنن النسائي الكبرى (١١١٢٩).

﴿تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤] فأخبرَهم بأنهم عاجزون عن مُعارَضته بمثله، وأنهم لا يفعلون ذلك في المستقبل أيضاً، وهذا وَهُمْ أفصَحُ الخلقِ وأعلَمُهم بالبلاغة والشعر وقريض الكلام وضُروبه، لكن جاءهم من الله مالا قِبَلَ لأحدٍ من البشرية من الكلامِ الفصيحِ البليغِ الوجيز، المحتوي على العلوم الكثيرة الصحيحة النافعة، [والأخبارِ الصادقة عن الغيوب الماضية والآتية، والأحكامِ العادلة والمحكمة،][1] كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي، حدثنا محمد ابن إسحاق قال: ذكَرَ محمد بن كعب القُرَظي عن الحارث بن عبد الله الأعور قال: قلتُ: لآتينَّ أميرَ المؤمنين، فلأَسألَنَّه عما سمعتُ العشيَّةَ. قال: فجئتُه بعد العِشاء، فدخلتُ عليه... فذكر الحديث. قال: ثم قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«أتاني جبريلُ، فقال: يا محمد، [إنَّ][2] أمَّتكَ مختلفةٌ بعدَكَ. قال: فقلتُ له: فأين المَخْرَجُ يا جبريل؟ قال: فقال: كتابُ اللهِ، به يَقْصِمُ اللهُ كلَّ جبار، من اعتصمَ به نجا، ومن تركَه هلَك ـ مرتين ـ قولٌ فَصْلٌ وليس بالهزل، لا تُخْلِقُه الألسُن، ولا تفنى عجائبُه، فيه نبأُ مَنْ كان قبلَكم، وفصلُ ما بينَكم، وخبرُ ما هو كائنٌ بعدكم»** هكذا رواه الإمام أحمد[3].

وقال أبو عيسى التِّرمذي: حدثنا عبد بن حُمَيد، حدثنا حسين بن علي الجُعفي، حدثنا حمزة الزيات، عن أبي المختار الطائي، عن ابن أخي الحارث الأعور، عن الحارث الأعور، قال: مررتُ في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلتُ على عليٍّ فقلتُ: يا أمير المؤمنين، ألا ترى الناس قد خاضوا في

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في النسخة الخطية، وأُثبت من طبعة الشيخ محمد رضا.

(٢) ما بين حاصرتين أُثبت من مسند أحمد.

(٣) مسند أحمد (٧٠٤).

الأحاديث؟ قال: أوَ قَدْ فعلوها؟ قلتُ: نعم. قال: أما إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنها ستكون فتنة» فقلت: ما المَخْرجُ منها يا رسول الله؟ قال: **«كتابُ الله، فيه نبأُ ما قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحُكْمُ ما بينكم، هو الفَصلُ ليس بالهَزْل، من تركه من جبارٍ قَصَمه الله، ومنِ ابتغى الهدى من غيره أضلَّه الله، هو حبل الله المتين، وهو الذِّكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تَلْتَبِسُ به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلُقُ عن كثرة الردِّ، ولا تنقضي عجائبُه، هو الذي لم تنتَهِ الجنُّ إذْ سمِعَتْه حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا * يَهْدِى إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾** [الجن: ١، ٢]، **من قال به صَدق، ومن عمل به أُجِر، ومن حكَمَ به عَدَل، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيم**». خذها إليك يا أعور. ثم قال: هذا حديثٌ غريب، لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال[1].

قلتُ: لم ينفرِدْ بروايته حمزة بن حبيب الزيات، بل قد رواه محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي، عن الحارث الأعور، فبرِئ حمزةُ من عُهدَتِه، على أنه وإنه كان ضعيفَ الحديثِ إلا أنه إمامٌ في القراءة والحديث، مشهورٌ من رواية الحارث الأعور وقد تكلَّموا فيه، بل قد كذَّبه بعضُهم من جهة رأيه واعتقاده، أما إنه تعمَّد الكذبَ في الحديث فلا، والله أعلم.

وقُصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين عليٍّ ﷺ، وقد وَهِمَ بعضُهم في رفعه، وهو كلامٌ حسنٌ صحيحٌ على أنه قد رُوي له شاهدٌ عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ.

---

(١) سنن الترمذي (٢٩٠٦)، وأبو المختار الطائي وابن أخي الحارث مجهولان. وقوله: «لا تلتبس به الألسنة» أي: لا تتعسَّر عليه ألسنة المؤمنين ولو كان من غير العرب. «ولا يخلق» بفتح الياء وضم اللام، وبضم الياء وكسر اللام، من خلِقَ الثوب: إذا بلي. «عن كثرة الرد» أي: لا تزول لذَّة قراءته، وطراوة تلاوته، واستماع أذكاره وأخباره من كثرة تكراره. «ولا تنقضي عجائبه» أي: لا ينتهي غرائبه التي يُتعجَّب منها. تحفة الأحوذي ٨/ ٢٢١ - ٢٢٢.

قال الإمام العلَمُ أبو عُبيد القاسم بن سلام في كتابه **«فضائل القرآن»** حدثنا أبو اليَقْظان، حدثنا عمار بن محمد الثوري أو غيرُه، عن أبي إسحاق الهجَري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: **«إنَّ هذا القرآن مأدُبةُ اللهِ تعالى، فتعلَّموا من مأدُبَتِه ما استطعتُم، إنَّ هذا القرآنَ حبلُ اللهِ عزَّ وجلَّ، وهو النورُ المبين، والشِّفاءُ النافع، عِصْمَةٌ لمن تمسَّكَ به، ونجاةٌ لمن تَبِعَه، لا يَعْوَجُّ فيُقَوَّمُ، ولا يزيغُ فيُستَعتَبُ، ولا تنقضي عجائبُه، ولا يَخْلَقُ عن كثرة الرَّدِّ، فاتْلُوه، فإنَّ اللهَ يأجُرُكُمْ على تلاوتِه بكلِّ حرفٍ عشْرَ حسنات، أما إنِّي لا أقولُ لكم: ألم حرف، ولكن ألِفٌ عشر، ولامٌ عشر، وميمٌ عشر»**[١]. وهذا غريبٌ من هذا الوجه.

وقد رواه محمد بن فُضَيل، عن أبي إسحاق الهَجَري ـ واسمه إبراهيم بن مسلم ـ وهو أحد التابعين، ولكن تكلَّموا فيه كثيراً، وقال أبو حاتم الرازي: ليِّنٌ ليس بالقوي. وقال أبو الفتح الأَزْدي: رفَّاعٌ كثيرُ الوهم. قلت: فيَحتَمِلُ ـ والله أعلم ـ أن يكون وَهِمَ في رفع هذا الحديث، وإنما هو من كلام ابن مسعود، ولكن له شاهدٌ من وجه آخر، والله أعلم.

وقال أبو عبيد أيضاً: حدثنا حجَّاج، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن[٢] بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود، قال: لا يسألُ عبدٌ عن نفسِه إلا القرآنَ، فإن كان يُحِبُّ القرآنَ فإنه يُحِبُّ اللهَ ورسولَه[٣].

الحديث الرابع: قال البخاري: حدثنا عمرو بن محمد، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي، عن صالح بن كَيْسان، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أنس بن مالك، أنَّ اللهَ تابعَ الوحيَ على رسولِه ﷺ بَعْدُ[٤].

---

(١) فضائل القرآن ص٢١ .

(٢) تحرف في النسخة الخطية إلى عبد الله ، والمثبت من فضائل القرآن لأبي عبيد.

(٣) فضائل القرآن ص٢١ ـ ٢٢ ، وإسناده صحيح.

(٤) صحيح البخاري (٤٩٨٢) .

وهكذا رواه مسلم عن عمرو بن محمد هذا ـ وهو الناقد ـ وحسن الحلواني وعبد ابن حميد، والنسائي عن إسحاق بن منصور الكَوْسَج، أربعتُهم عن يعقوب بن إبراهيم ابن سعد الزُّهري، به[١].

ومعناه: أنَّ الله تعالى تابعَ نزولَ الوحيَ على رسول الله ﷺ شيئاً بعد شيء، كلَّ وقتٍ بما يحتاج إليه، ولم تقعْ فترةٌ بعد الفترة الأولى التي كانت بعد نزول الملك أول مرَّةٍ بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] فإنه استلبث الوحي بعدَها حيناً، يُقال: قريباً من سنتين أو أكثر، ثم حميَ الوحيُ وتتابع، وكان أولَ شيءٍ نزلَ بعد تلك الفترة ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢].

الحديث الخامس: حدثنا أبو نُعيم، حدثنا سفيان، عن الأسود بن قيس، قال: سمعتُ جُنْدُباً يقول: اشتكى النبيُّ ﷺ فلم يقُمْ ليلةً أو ليلتين، فأتَتْه امرأةٌ فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانَكَ إلا تركَكَ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١-٣][٢].

وقد رواه البخاري في غير موضعٍ أيضاً، ومسلم، والترمذي، والنسائي، من طُرقٍ أُخَر، عن سفيان ـ وهو الثوري ـ وشعبة بن الحجاج، كلاهما عن الأسود بن قيس العبدي، عن جُنْدُب بن عبد الله البَجَلي، به[٣].

وسيأتي[٤] الكلام على هذا الحديث في تفسير سورة الضحى، إن شاء الله تعالى[٥].

---

(١) صحيح مسلم (٣٠١٦)، وسنن النسائي الكبرى (٧٩٨٣).

(٢) صحيح البخاري (٤٩٨٣).

(٣) صحيح البخاري (١١٢٥) و(٤٩٥٠) و (٤٩٥١)، وصحيح مسلم (١٧٩٧)، وسنن الترمذي (٣٣٤٥)، وسنن النسائي الكبرى (١١٦٨١).

(٤) في نسخة الشيخ محمد رضا: وقد تقدم.

(٥) في هذا الكلام قرينةٌ على أن كتاب فضائل القرآن هذا هو من ضمن تفسير المؤلف رحمه الله.

والمناسبةُ في ذِكْرِ هذا الحديث والذي قبله في فضائل القرآن: أنَّ الله تعالى له برسوله عنايةٌ عظيمةٌ، ومحبةٌ شديدةٌ، حيثُ جعل الوحيَ متتابعاً عليه ولم يقْطَعْه عنه؛ ولهذا إنما أُنزِلَ عليه القرآنُ مفرَّقاً؛ ليكون ذلك في أبلغ العناية والإكرام.

قال البخاري رحمه الله: نزلَ القرآنُ بلسانِ قُريشٍ والعرب، قرآناً عربياً، بلسانٍ عربيٍّ مُبين.

حدثنا أبو اليمان، حدثنا شُعيب، عن الزُّهري، أخبرني أنس بن مالك، قال: فأمرَ عثمانُ بنُ عفَّانَ زيدَ بنَ ثابتٍ وسعيدَ بنَ العاص وعبدَ اللهِ بنَ الزُّبير وعبدَ الرحمنِ ابنَ الحارثِ بنِ هشامٍ أن ينسخوها في المصاحف، وقال لهم: إذا اختلفتُم أنتم وزيدٌ في عربيةٍ من عربيةِ القرآن، فاكتبوها بلسان قريش، فإنَّ القرآنَ نزلَ بلسانهم، ففعلوا[1].

هذا الحديث قطعةٌ من حديثٍ سيأتي قريباً الكلامُ عليه، ومقصودُ البخاري منه ظاهر، وهو أنَّ القرآن نزلَ بلُغةِ قريش، وقريشٌ خلاصة العرب؛ ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا عبد الله بن محمد بن خلاَّد، حدثنا يزيد، حدثنا شَيبان، عن[2] عبد الملك بن عُمير، عن جابر بن سَمُرة، قال: سمعتُ عمر بن الخطاب يقول: لا يُملِينَّ في مصاحفَنا هذه إلا غلمانُ قريشٍ أو غلمانُ ثَقيف[3]. وهذا إسناد صحيح.

وقال أيضاً: حدثنا إسماعيل بن أسد، حدثنا هَوْذة، حدثنا عوف، عن عبد الله ابن فَضالة، قال: لمَّا أراد عمرُ أن يكتُبَ الإمامَ أقعدَ له نفَراً من أصحابه وقال: إذا اختلفتُمْ في اللغة فاكتبوها بِلُغة مُضَر، فإنَّ القرآنَ نَزَلَ بِلُغةِ رجلٍ من مُضر ﷺ[4].

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٨٤).

(٢) تحرفت في النسخة الخطية إلى «بن».

(٣) المصاحف لابن أبي داود (٣٧).

(٤) المصاحف لابن أبي داود (٣٤)، وإسناده ضعيف، عبد الله بن فضالة فيه جهالةٌ، ثم إن في هذا الأثر نكارة؛ إذ إن عمر لم يثبت عنه أنه أراد كتابة الإمام، بل المشهور في ذلك عن عثمان بن عفان.

وقد قال الله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ الآية [فصلت: ٤٤]، إلى غير ذلك من الآيات الدَّالةِ على ذلك.

ثم ذكر البخاري ـ رحمه الله ـ حديثَ يعلى بنَ أُمية أنه كان يقول: ليتني أرى رسولَ اللهِ ﷺ حين ينزِلُ عليه الوحيُ. فذكر الحديث الذي سألَ عمَّن أحرمَ بعمرةٍ وهو مُتضَمِّخٌ بطيبٍ وعليه جُبَّةٌ، وقال: فنظَر رسولُ اللهِ ﷺ ساعةً، ثم فجَأه الوحيُ، فأشارَ عمرُ إلى يعلى، أي: تعال، فجاء يعلى، فأدخلَ رأسَه، فإذا هو مُحمَرُّ الوجه، يغُطُّ كذلك ساعة، ثم سُرِّيَ عنه، فقال: **«أينَ الذي سألني عنِ العُمرةِ آنفاً؟»** فذكر أمْرَهُ بنزْعِ الجُبَّة وغَسْل الطِّيب[1].

وهذا الحديث رواه جماعةٌ من طرقٍ عديدة، والكلام عليه في كتاب الحج، ولا تظهر مناسبةُ ما بينَه وبين هذه الترجمة ولا يكاد، ولو ذُكِرَ في الترجمة التي قبلها لكان أظهرَ وأبْيَنَ، والله أعلم.

جمـــع القـــرآن

قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن سعد، حدثنا ابن شهاب، عن عُبيد بن السَّبَّاق، أنَّ زيد بن ثابت ﷺ قال: أرسل إليَّ أبو بكرٍ ـ مقتَلَ أهل اليمامة ـ فإذا عمرُ بنُ الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر بن الخطاب أتاني فقال: إن القتل قد استَحَرَّ بقُرَّاء القرآن، وإني أخشى أن يستحِرَّ القتْلُ بالقُرَّاءِ في المواطن، فيذهب كثيرٌ من القرآن، وإني أرى أن تأمُرَ بجَمْعِ القرآن. فقلتُ لعمر: كيفَ نفعلُ شيئاً لم يفعَلْهُ رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا واللهِ خيرٌ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيتُ في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجلٌ

(١) صحيح البخاري (١٥٣٦) و (١٧٨٩) و (١٨٤٧) و (٤٣٢٩) و (٤٩٨٥).

شابٌّ عاقلٌ لا نتَّهمُكَ، وقد كنتَ تكتبُ الوحيَ لرسول الله ﷺ فَتَتَبَّعِ القرآنَ فاجمَعْه، فواللهِ لو كلَّفوني نقْلَ جبلٍ من الجبال ما كان أثقلَ عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلتُ: كيفَ تفعلون شيئاً لم يفعَلْهُ رسولُ الله ﷺ؟ قال: هو واللهِ خير. فلم يزَلْ أبو بكرٍ يُراجعني حتى شرحَ اللهُ صدري للذي شرحَ له صدْرَ أبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما. فتتَبَّعتُ القرآنَ أجمَعُه من العُسُبِ واللِّخافِ وصدور الرجال، ووجدتُ آخِرَ سورة التوبة مع أبي خُزيمةَ الأنصاري لم أجِدْها مع غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] حتى خاتمة براءة، فكانتِ الصُّحفُ عند أبي بكر حتى توفَّاه الله، ثم عند عمر حياتَه، ثم عند حفصةَ بنتِ عمر ﷺ[١].

وقد روى البخاريُّ هذا في غير موضعٍ من كتابه، ورواه الإمام أحمد، والتِّرمذي، والنسائي، من طرقٍ عن الزُّهري به[٢].

وهذا من أحسنِ وأجلِّ وأعظمِ ما فعله الصِّدِّيق ﷺ، فإنَّه أقامه الله بعد النبيِّ ﷺ مقاماً لا ينبغي لأحدٍ بعده، قاتلَ الأعداءَ من مانعي الزكاة والمرتدين والفرس والروم، ونفذَ الجيوشَ وبعثَ البعوث والسرايا، وردَّ الأمرَ إلى نصابه بعد الخوف من تفرُّقه وذهابه، وجمع القرآن العظيم من أماكنه المتفرقة حتى تمكَّنَ القارئُ من حِفْظه كلِّه، وكان هذا من سِرِّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فجمَعَ الصِّدِّيقُ الخيرَ، وكفَّ الشُّرور، ﷺ وأرضاه؛ ولهذا روى غيرُ واحدٍ من الأئمة منهم وكيع وابن زيد وقَبيصة، عن سفيان الثوري، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي الكبير، عن عبد خير، عن علي بن أبي طالب ﷺ، أنه قال: أعظمُ الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، إنَّ أبا بكرٍ كان أولَ مَنْ جمعَ القرآن بين

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٨٦).

(٢) صحيح البخاري (٤٩٧٩)و (٤٩٨٩) و (٧١٩١) و (٧٤٢٥)، ومسند أحمد (٥٧)، وسنن الترمذي (٣١٠٣)، وسنن النسائي الكبرى (٧٩٩٥).

اللوحين[١]. إسناده صحيح.

وقال أبو بكر بن أبي داود في كتاب «**المصاحف**» : حدثنا هارون بن إسحاق، حدثنا عَبْدة، عن هشام، عن أبيه، أنَّ أبا بكرٍ هو الذي جمعَ القرآن بعد النبي ﷺ، يقول: ختمه[٢]. صحيح أيضاً[٣].

وكان عمر بن الخطاب ﷺ هو الذي تنبَّه لذلك لمَّا استحَرَّ القتْلُ بالقُرَّاء، أي: اشتدَّ القتلُ وكثُرَ في قُرَّاء القرآن يوم اليمامة، يعني يوم اليمامة، يعني يوم قتال مسيلمة الكذاب وأصحابه ومن بني حنيفة بأرض اليمامة في حديقة الموت، وذلك أنَّ مسيلمة التفَّ معه من المرتدين قريبٌ من مئة ألف، فجهَّزَ الصِّدِّيقُ لقتاله خالدَ بن الوليد في قريبٍ من ثلاثةَ عشَرَ ألفاً، فالتقَوا معهم، فانكشفَ الجيشُ الإسلاميُّ لكثرة مَنْ فيه من الأعراب، فنادى القُرَّاءُ من كبار الصحابة: يا خالد، يقولون: ميِّزْنا من هؤلاء الأعراب، فتميَّزوا منهم وانفردوا، فكانوا قريباً من ثلاثة آلاف، ثم صدَّقوا الحملة، وقاتلوا قتالاً شديداً، وجعلوا يتنادَون: يا أصحابَ سورةِ البقرة، فلم يزَلْ ذلك دأبُهم حتى فتح الله عليهم ووَلَّى جيشُ الكفر فارًّا، وأتبعَتْهُم السيوفُ المسلمة في أقفيتهم قتلاً وأسراً، وقتلَ اللهُ مسيلمة، وفرَّقَ شملَ أصحابه، ثم رجعوا إلى الإسلام، ولكن قُتِلَ من القُرَّاء يومئذٍ قريبٌ من خمس مئةٍ ﷺ؛ فلهذا أشار عمر على الصِّدِّيق بأن يجمع القرآن؛ لئلا يذهبَ منه شيءٌ بسبب موت مَنْ يكونُ يحفظه من الصحابة بعد ذلك في مواطن القتال، فإذا كُتِبَ وحُفِظَ صارَ ذلك محفوظاً فلا فَرْقَ بين حياةِ مَنْ بلَغَه أو موتِه، فراجَعَه الصِّدِّيقُ قليلاً ليثَّبتَ في الأمر، ثم وافقَه، وكذلك راجعهما زيدُ بن ثابت في ذلك، ثم صار إلى ما رأياه، ﷺ أجمعين، وهذا المقام من أعظم فضائل زيد

---

(١) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص١٥٥ ـ ١٥٦ ، وابن سعد ٣/ ١٩٣ ، وابن أبي شيبة ٦/ ١٤٨ ، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٢٨٠) ، وابن أبي داود في «المصاحف» (١٤) و (١٥) و (١٦) و (١٧) و (١٨) من طرق عن سفيان الثوري، به.

(٢) المصاحف (٢١) .

(٣) بل ضعيف؛ لانقطاع إسناده، فإن والد هشام ـ وهو عروة بن الزبير ـ لم يدرك أبا بكر.

ابن ثابت الأنصاري؛ ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا عبد الله بن محمد بن خَلاَّد، حدثنا يزيد، حدثنا مُبارك بن[١] فَضالة، عن الحسن، أنَّ عمر بن الخطاب سألَ عن آيةٍ من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان، فقُتِلَ يوم اليمامة، فقال: إنَّا لله، فأمر بالقرآن فجُمِعَ، فكان أول مَنْ جمعَه في المصحف[٢]. هذا منقطع، فإن الحسن لم يدرك عمر، ومعناه: أشار بجمعه فجُمِعَ؛ ولهذا كان مهيمناً على حِفْظِه وجَمْعِه كما رواه ابن أبي داود حيث قال: حدثنا أبو الطاهر، حدثنا ابن وَهْب، حدثنا عمر بن طلحة الليثي، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، أنَّ عمر لمَّا جمعَ القرآنَ كان لا يقبَلُ من أحدٍ شيئاً حتى يشهد شاهدان[٣].

وذلك عن أمر الصِّدِّيق له في ذلك، كما قال: [أبو بكر بن أبي داود: حدثنا أبو الطاهر، حدثنا ابن وَهْب، أخبرني ابنُ أبي الزِّناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: لمَّا استحرَّ القتْلُ بالقُرَّاء يومئذٍ فَرِقَ][٤] أبو بكر ﷺ أن يضيع، فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت: فمن جاءكما بشاهدين على شيءٍ من كتاب الله فاكتُباه[٥]. منقطعٌ حسن.

ولهذا قال زيد بن ثابت: وجدتُ آخر سورة التوبة، يعني قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ﴾ إلى آخر الآيتين [التوبة:١٢٨، ١٢٩] مع أبي خُزيمة الأنصاري، وفي رواية: مع خُزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين لم أجِدْها مع غيره، كتبوها عنه؛ لأنه جعل رسول الله ﷺ شهادتَه بشهادتين في قصة الفَرَس التي ابتاعها رسولُ الله ﷺ من الأعرابي، فأنكر الأعرابي البيع، فشهد خُزيمة هذا بتصديق رسول الله ﷺ، فأمضى شهادتَه، وقبض الفرس من الأعرابي.

---

(١) تحرفت في النسخة الخطية إلى «عن»، والمثبت من طبعة الشيخ محمد رشيد رضا.

(٢) المصاحف لابن أبي داود (٣٢).

(٣) المصاحف لابن أبي داود (٣٣).

(٤) ما بين حاصرتين سقط من النسخة الخطية، وأُثبت من طبعة الشيخ محمد رشيد رضا.

(٥) المصاحف لابن أبي داود (٢٣).

والحديث رواه أهل السنن[١] وهو مشهور.

وروى أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، أنَّ أُبيَّ بنَ كعبٍ أملاها عليهم مع خُزيمة بن ثابت[٢].

وقد روى ابن وهب، عن عمرو بن طلحة الليثي، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، أنَّ عثمانَ شهِدَ بذلك أيضاً[٣].

أما قول زيد بن ثابت: «فتَتَبَّعتُ القرآن أجمَعُه من العُسُب واللِّحاف وصدور الرجال»، وفي رواية: «من العُسُب والرِّقاع والأضلاع»، وفي روايةٍ: «من الأكتاف والأقتاب وصدور الرجال».

أما العُسُب فجمع عسيب، قال أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري: وهو من السَّعَفِ فويق الكَرَب، لم ينبت عليه الخُوص، وما نبت عليه الخُوصُ فهو السَّعَفُ.

واللِّخاف: جمع لَخْفة: وهي القطعة من الحجارة مُستَدِقَّة، كانوا يكتبون عليه وعلى العُسُبِ وغير ذلك مما يمكنهم الكتابة عليه، مما يناسب ما يسمعونه من القرآن من رسول الله ﷺ.

ومنهم من لم يكن يُحسِنُ الكتابةَ أو يثِقُ بحفظه، فكان يحفظه، فتلقَّاه زيد بن ثابت من هذا من عَسيبه، ومن هذا من لخافه، ومن صدر هذا، أي: من حفظه، وكانوا أحرصَ شيءٍ على أداء الأمانات، وهذا من أعظم الأمانة؛ لأن رسول الله ﷺ أودَعَهم ذلك ليُبلِّغوه إلى مَنْ بعده، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ

---

(١) سنن أبي داود (٣٦٠٧)، وسنن النسائي ٧/ ٣٠٢.

(٢) أخرجه بمعناه مطولاً عن عبد الله بن أحمد في زوائده على «مسند أحمد» (٢١٢٢٦) من طريق عمر بن شقيق، عن أبي جعفر الرازي، به. وإسناده ضعيف لضعف أبي جعفر: واسمه عيسى بن عبد الله بن ماهان.

(٣) أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (٣٣) عن أبي الطاهر، عن ابن وهب، به. وإسناده ضعيف لانقطاعه، يحيى بن عبد الرحمن بن خاطب لم يلق عثمان بن عفان.

﴿إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، ففعلَ صلواتُ الله وسلامُه عليه ما أُمرَ به؛ ولهذا سألَهم في حَجَّةِ الوداع يومَ عرفة على رؤوس الأشهاد والصحابة أوفَرَ ما كانوا مجتمعين، فقال: «**إنكم مسؤولون عني، فما أنتم قائلون؟**» فقالوا: نشهدُ أنَّكَ قد بلَّغتَ وأدَّيتَ ونصحتَ، فجعل يشير بأصبعه إلى السماء وينكُبُها عليهم، ويقول: «**اللهمَّ اشهَدْ، اللهمَّ اشهَدْ، اللهمَّ اشهَدْ**». رواه مسلم عن جابر[١].

وقد أمر أمته أن يُبلِّغَ الشاهدُ الغائب[٢]، وقال: «**بلِّغوا عني ولو آية**[٣]» يعني: ولو لم يكن مع أحدكم سوى آيةً واحدة فليؤدِّها إلى مَنْ وراءه، فبلِّغوا عنه ما أمرهم به، فأدَّوا القرآنَ قرآناً، والسُّنةَ سنةً، لم يَلْبِسوا هذا بهذا؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**من كتبَ عني سوى القرآن فلْيَمْحُه**[٤]» أي: لئلا يختلط بالقرآن، وليس معناه ألاَّ يحفظوا السُّنة ويروووها، والله أعلم.

فلهذا نعلم بالضرورة أنه لم يبقَ من القرآن ممَّا أداه الرسولُ ﷺ إليهم إلاَّ وقد بلَّغوه إلينا، ولله الحمدُ والمِنَّة، فكان الذي فعلَه الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من أكبر المصالح الدينية وأعظَمِها، من حِفْظِهما كتابَ الله في الصحف؛ لئلا يذهب منه شيءٌ بموت مَنْ تلقَّاه عن رسول الله ﷺ، ثم كانت عند حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، حتى أخذها منها أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

قال البخاري رحمه الله: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم، حدثنا ابن شهاب، أنَّ أنس بن مالك حدَّثه، أنَّ حذيفة بنَ اليمان قَدِمَ على عثمان بن عفان رضي الله عنهما، وكان يُغازي أهلَ الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع

---

(١) صحيح مسلم (١٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٩٩) من حديث أبي سعيد الخدري.

حذيفةَ اختلافُهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرِكْ هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلافَ اليهود والنصارى. فأرسلَ عثمانُ إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخُها في المصاحف ثم نردُّها إليكِ، فأرسلت بها حفصةُ إلى عثمان، فأمر زيدَ بن ثابتٍ وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القُرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيدُ بنُ ثابتٍ في شيءٍ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما أُنزِلَ بلسانهم. ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحفَ في المصاحف ردَّ عثمانُ الصُّحفَ إلى حفصةَ، وأرسلَ إلى كلِّ أُفُقٍ بمصحفٍ مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كلِّ صحيفة أو مصحفٍ أن يُحرَق. قال ابن شهاب الزهري: فأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت: سمع زيد بن ثابت قال: فقدتُ آيةً من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنتُ أسمَعُ رسولَ الله ﷺ يقرأ بها، التمسناها فوجدناها مع خُزيمة بنِ ثابت الأنصاري: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، فألحقناها في سورتها في المصحف[1].

وهذا ـ أيضاً ـ من أكبر مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، فإنَّ الشيخين سبَقاه إلى حِفْظ القرآن أن يذهب منه شيءٌ وهو جمع الناس على قراءةٍ واحدة؛ لئلا يختلفوا في القرآن، ووافقه على ذلك جميع الصحابة، وإنَّما رُوي عن عبد الله بن مسعود شيءٌ من التغضُّبِ بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف، وأمرَ أصحابَه بِغَلِّ مصاحفهم لمَّا أمر عثمانُ بِحَرْقِه ما عدا المصحف الإمام، ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق، حتى قال علي بن أبي طالب ﷺ: لو لم يفعَلْ ذلك عثمان لَفعلتُه أنا[2]. فاتَّفق الأئمةُ الأربعةُ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ ﷺ على أن ذلك من مصالح الدين، وهم الخلفاء الذين قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بِسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاء الراشدين من**

(١) صحيح البخاري (٤٩٨٧ ـ ٤٩٨٨).

(٢) أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (٤٠) وفي إسناده رجل مبهم.

بعدي»[١].

وكان السبب في هذا حذيفةُ بن اليمان ﷺ لمَّا كان غازياً في فتح أرمينية وأذربيجان، وكان قد اجتمع هناك أهلُ الشام والعراق، وجعل حذيفةُ يسمع منهم قراءاتٍ على حروفٍ شتَّى، ورأى منهم اختلافاً وافتراقاً، فلما رجع إلى عثمان أعْلَمه، وقال لعثمان: أدرِكْ هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلافَ اليهود والنصارى.

وذلك أن اليهود والنصارى مختلفون فيما بأيديهم من الكتب، فاليهود بأيديهم نسخةٌ من التوراة، والسامرة يخالفونهم في ألفاظٍ كثيرةٍ ومعانٍ أيضاً، وليس في توراة السامرة حرف الهمزة، ولا حرف الهاء، ولا الياء، والنصارى ـ أيضاً ـ بأيديهم توارةٌ يُسمُّونها العتيقة، وهي مخالفةٌ لنُسخَتَي اليهود والسامرة.

أما الأناجيل التي بأيدي النصارى فأربعة: إنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل متَّى، وإنجيل يوحنا، وهي مختلفة ـ أيضاً ـ اختلافاً كثيراً، وهذه الأناجيل الأربعة كلٌّ منها لطيفُ الحجم، منها ما هو قريبٌ من أربع عشرة ورقةً بخطٍّ متوسط، ومنها ما هو أكثرُ من ذلك إما بالنصف أو بالضعف، ومضمونها سيرة عيسى وأيامه وأحكامه وكلامه، وفيه شيءٌ قليل مما يدَّعون أنه كلام الله، وهي مع هذا مختلفةٌ كما قلنا، وكذلك التوراة مع ما فيها من التحريف والتبديل، ثم هما منسوخان بعد ذلك بهذه الشريعة المحمدية المطهَّرة.

فلما قال حذيفة لعثمان ذلك أفزعه، وأرسل إلى حفصةَ أمِّ المؤمنين أن ترسل إليه بالصحف التي عندها مما جمعه الشيخان؛ ليكتبَ ذلك في مصحفٍ واحد، ويُنفِذَه إلى الآفاق، ويجمعَ الناس على القراءةِ به وتَرْكِ ما سواه، ففعلتْ حفصة، وأمر عثمان هؤلاء الأربعة: وهم زيد بن ثابت الأنصاري، أحد كُتَّاب الوحي لرسول الله ﷺ،

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٧١٤٢)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣) من حديث العرباض بن سارية.

وعبد الله بن الزُّبير بن العوَّام القرشي الأسدي، أحد فقهاء الصحابة ونُجبائهم علماً وعملاً وأصلاً وفضلاً، وسعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي، وكان كريماً جواداً مَمدحاً، وكان أشبهَ الناس لهجةً برسول الله ﷺ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، فجلس هؤلاء النفر يكتبون القرآن نُسخاً، وإذا اختلفوا في وضع الكتابة على أيِّ لغةٍ رجعوا إلى عثمان، كما اختلفوا في التابوت أيكتبونه بالتاء أو الهاء؟ فقال زيد بن ثابت: إنما هو التابوه. وقال الثلاثة القرشيون: إنما هو التابوت، فتراجعوا إلى عثمان، فقال: اكتبوه بلغة قريش، فإنَّ القرآن نزَلَ بِلُغَتِهم.

وكان عثمان ـ والله أعلم ـ رتَّبَ السُّورَ في المصحف، وقدَّم السبعَ الطِّوال، وثنَّى بالمِئين؛ ولهذا روى ابن جرير، وأبو داود، والترمذي، والنسائي من حديث غير واحدٍ من الأئمة الكبار، عن عوف الأعرابي، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس قال: قلتُ لعثمان بن عفان: ما حملَكم أن عمَدْتُم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتُم بينها ولم تكتبوا بينها سطر «بسم الله الرحمن الرحيم»، ووضعتموها في السبع الطُّوَل؟ ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: كان رسولُ الله مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السُّوَرُ ذواتُ العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعضَ مَنْ كان يكتب فيقول: **«ضعوا هذه الآيات في السور التي يُذكَرُ فيها كذا وكذا»** فإذا أُنزلت عليه الآية فيقول: **«ضعوا هذه الآية في السور التي يُذكَرُ فيها كذا وكذا»** وكانتِ الأنفالُ من أول ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قِصَّتُها شبيهةً بقِصَّتِها، وحسِبتُ أنها منها، وقُبِضَ رسولُ الله ﷺ ولم يُبيِّنْ لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قَرَنْتُ بينهما ولم أكتب بينهما سطر **«بسم الله الرحمن الرحيم»** فوضعتُها في السبع الطُّوَل [1].

---

(١) هذا حديث إسناده ضعيف ومتنه منكر، في إسناده يزيد الفارسي، وهو في عداد المجهولين، وقد تفرد برواية هذا الحديث، قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على هذا الحديث في «مسند أحمد» (٣٩٩): فيه تشكيك في معرفة سورة القرآن الثابتة بالتواتر القطعي قراءةً وسماعاً وكتابةً في المصاحف، وفيه =

فَفُهِم من هذا الحديث أن ترتيبَ الآيات والسُّوَر أمرٌ توفيقيٌّ مُتلقًّى عن الرسول ﷺ، وأما ترتيب السُّور فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ؛ ولهذا ليس لأحدٍ أن يقرأ القرآن إلا مرتَّباً، فإن نكَسه أخطأ خطأً كبيراً.

وأما ترتيب السُّور فمستحبٌّ؛ اقتداءً بعثمان ﷺ، والأولى إذا قرأ أن يقرأ متوالياً كما قرأ عليه الصلاة والسلام في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين، وتارةً بسبِّح وهل أتاك حديث الغاشية، فإن فرَّقَ جاز، كما صحَّ أنَّ رسول الله ﷺ قرأ في العيد بقاف واقتربت الساعة. رواه مسلم عن أبي واقد[١].

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة ﷺ، أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة: ألم السجدة، وهل أتى على الإنسان[٢].

وإن قدَّمَ بعضَ السُّوَر على بعضٍ جازَ أيضاً، فقد روى حذيفةُ أنَّ رسول الله ﷺ قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران. أخرجه مسلم[٣].

وقرأ عمرُ في الفجر بسورة النحل ثم بيوسف[٤].

ثم إن عثمان ردَّ الصحف إلى حفصة، فلم تزَلْ عندها حتى أرسل إليها مروان بن الحكم يطلبها فلم تُعْطِه حتى ماتت، فأخذها من عبد الله بن عمر فحرقها؛ لئلا يكون فيها شيء يخالف المصاحف التي نفَذَها عثمان إلى الآفاق: مصحفاً إلى أهل مكة،

= تشكيك في إثبات البسملة في أوائل السور، كأن عثمان يثبتها برأيه وينفيها برأيه، وحاشاه من ذلك، فلا علينا إذا قلنا: إنه حديث لا أصل له، تطبيقاً للقواعد الصحيحة التي لا خلاف فيها بين أئمة الحديث. والحديث في تفسير الطبري ١/ ٢٤٥ وسنن أبي داود (٧٨٦) و (٧٨٧)، وسنن الترمذي (٣٠٨٦)، وسنن النسائي الكبرى (٨٠٠٧).

(١) صحيح مسلم (٨٩١)، وتحرف في النسخة الخطية اسم أبي واقد إلى أبي قتادة.

(٢) صحيح البخاري (٨٩١)، وصحيح مسلم (٨٨٠).

(٣) صحيح مسلم (٧٧٢).

(٤) أخرج الطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١/ ١٨٠ عدة روايات لهذا الأثر عن عمر، فجاء في بعضها أنه كان يقرأ يوسف والحج، وفي أخرى: بني إسرائيل والكهف، أو الكهف وبني إسرائيل. وفي رواية أيضاً: الكهف ويوسف.

ومصحفاً إلى البصرة، وآخر إلى الكوفة، وآخر إلى الشام، وآخر إلى اليمن، وآخر إلى البحرين، وترك عند أهل المدينة مصحفاً. رواه أبو بكر بن أبي داود عن أبي حاتم السِّجِستاني، سمعه يقوله[١]. وصحَّح القرطبي أنه إنما نفَذَ إلى الآفاق أربعة مصاحف ـ وهذا غريب ـ وأمر بما عدا ذلك من مصاحف الناس أن يُحرَقَ؛ لئلا تختلفَ قراءاتُ الناس في الآفاق، وقد وافقه الصحابة في عصره على ذلك، ولم ينكره أحدٌ منهم، وإنما نقم عليه ذلك أولئك الرهط الذين تمالؤوا عليه وقتلوه ـ قاتلهم الله ـ وفي ذلك جملةُ ما أنكروه مما لا أصل له، وأما سادات المسلمين من الصحابة، ومن نشأ في عصرهم ذلك من التابعين فكلُّهم وافقوه.

قال أبو داود الطيالسي وابن مهدي وغُنْدَر، عن شعبة، عن عَلْقَمةَ بنِ مَرْثَد، عن رجل، عن سُوَيد بن غَفَلة: قال عليٌّ حين حرق عثمانُ المصاحف: لو لم يصنَعْه هو لصنعتُه[٢].

قال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا أحمد بن سِنان، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص، قال: أدركتُ الناس متوافرين حين حرَقَ عثمانُ المصاحفَ فأعجَبَهم ذلك، أو قال: لم يُنكِرْ ذلك منهم أحد[٣]. وهذا إسناد صحيح.

وقال أيضاً: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف، حدثنا يحيى بن كثير، حدثنا ثابت بن عُمارة الحنفي، قال: سمعت غُنيمَ بن قيس المازني قال: قرأتُ القرآن على الحرفين جميعاً، واللهِ ما يسُرُّني أنَّ عثمانَ لم يكتُبِ المصحف، وأنه وُلِدَ لكلِّ مسلمٍ كلما أصبح غلامٌ، فأصبح له مثلُ ماله. قال: قلنا له: يا أبا العنبر، ولِمَ؟ قال: لو لم يكتُبْ عثمانُ المصحف لطَفِقَ الناسُ يقرؤون الشِّعر[٤].

---

(١) «المصاحف» لابن أبي داود (١١٦).

(٢) تقدم تخريجه ص٣٠.

(٣) المصاحف لابن أبي داود (٤١).

(٤) المصاحف لابن أبي داود (٤٢).

حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا محمد بن عبد الله، حدثني عِمران بن حُدَير، عن أبي مِجْلَزٍ قال: لولا أنَّ عثمانَ كتبَ القرآن لألفَيتَ الناسَ يقرؤون الشِّعر[١].

حدثنا أحمد بن سنان قال: سمعتُ ابنَ مهدي يقول: خَصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبي بكرٍ ولا لعمر: صبرُه نفسَه حتى قُتِلَ مظلوماً، وجَمْعُه الناسَ على المصحف[٢].

وأما عبد الله بن مسعود ﷺ؛ فقد قال إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن خُمَير بن مالك قال: لمَّا أمر عثمان بالمصاحف ـ يعني بتحريقها ـ ساء ذلكَ عبدَ الله بن مسعود وقال: منِ استطاعَ منكم أن يَغُلَّ مصحفاً فليَغْلُلْ، فإنه من غلَّ شيئاً جاء بما غَلَّ يوم القيامة. ثم قال عبد الله: لقد قرأتُ القرآن من في رسول الله ﷺ سبعين سورةً وزيدٌ صبيٌّ، أفأتركُ ما أخذتُ من فِي رسول الله ﷺ[٣].

وقال أبو بكر: حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا أبو شهاب، عن الأعمش، عن أبي وائل، قال: خطبَنا ابنُ مسعودٍ على المنبر فقال: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]، غُلُّوا مصاحِفَكم، وكيف تأمروني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت، وقد قرأتُ القرآنَ من فِي رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، وإنَّ زيد بن ثابت لَيأتي مع الغلمان له ذؤابتان، واللهِ ما نزل من القرآن شيء إلا وأنا أعلمُ في أيِّ شيءٍ نزل، وما أحدٌ أعلمُ بكتاب الله مني، وما أنا بخيركم، ولو أعلم مكاناً تبلُغه الإبلُ أعلمَ بكتاب الله مني لأتيتُه. قال أبو وائل: فلما نزل عن المنبر جلستُ في الحِلَقِ، فما أحدٌ يُنكِرُ ما قال[٤]. أصل هذا مُخرَّجٌ في

---

(١) المصاحف لابن أبي داود (٤٣)، وإسناده صحيح.

(٢) المصاحف لابن أبي داود (٤٤)، وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (٥١) من طريق عبد الله بن رجاء، عن إسرائيل، به. والأثر بتمامه حسن له طرق عدة، انظرها في «مسند أحمد» (٣٦٩٧).

(٤) المصاحف لابن أبي داود (٥٥)، وإسناده حسن بالمتابعات.

«الصحيحين» وعندهما: ولقد علِمَ أصحاب محمدٍ أني أعلمُهم بكتاب الله[١]. وقول أبي وائل: «فما أحدٌ ينكر ما قال» يعني: من فضله وعلمه وحفظه، والله أعلم.

وأما أمْرُه بغَلِّ المصاحف وكتمانها، فقد أنكره عليه غير واحد. قال الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، قال: قدمتُ الشام فلقيتُ أبا الدرداء، فقال: كنا نعُدُّ عبدَ الله جباناً، فما باله يواثبُ الأمراء[٢].

وقال أبو بكر بن أبي داود: باب رضا عبد الله بن مسعود بجمع عثمانَ المصاحف بعد ذلك: حدثنا عبد الله بن سعيد ومحمد بن عثمان العِجْلي قالا: حدثنا أبو أسامة، حدثني زهير، حدثني الوليد بن قيس، عن عثمان بن حسان العامري، عن فُلفُلةَ الجُعْفي قال: فزعتُ فيمن فزِعَ إلى عبد الله في المصاحف، فدخلنا عليه، فقال رجلٌ من القوم: إنَّا لم نأتِكَ زائرين، ولكنا جئنا حين راعَنا هذا الخبر، فقال: إنَّ القرآن أُنزِلَ على نبيكم من سبعة أبواب، على سبعة أحرف ـ أو حروف ـ وإن الكتاب قبلكم كان ينزل ـ أو نزل ـ من بابٍ واحدٍ، على حرفٍ واحد[٣]. وهذا الذي استدلَّ به أبو بكرٍ رحمه الله على رجوع ابن مسعود فيه نظر، من جهة أنه لا يظهر من هذا اللفظ رجوعٌ عما كان يذهب إليه، والله أعلم.

وقال أبو بكر أيضاً: حدثنا عمي، حدثنا ابن رجاء، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مصعب بن سعد قال: قام عثمان فخطب الناس فقال: أيها الناسُ، عهدُكم بنبيكم منذُ ثلاثَ عشرة وأنتم تمترون في القرآن، وتقولون: قراءة أُبي وقراءة عبد الله، يقول الرجل: واللهِ ما تُقيمُ قراءتك، وأعزِمُ على كلِّ رجلٍ منكم ما كان معه من كتاب الله لما جاء به، فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى جمع

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٠٠)، وصحيح مسلم (٢٤٦٢).

(٢) أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (٦٥) من طريق عبد السلام بن حرب، عن الأعمش، به. وإسناده صحيح.

(٣) المصاحف لابن أبي داود (٦٦)، وإسناده ضعيف لجهالة عثمان بن حسان. وانظر تمام تخريجه في «مسند أحمد» (٤٢٥٢).

من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً، فناشدهم: لَسمعتَ رسولَ الله ﷺ أملاه عليك؟ فيقول: نعم، فلما فرغ عثمانُ من ذلك قال: من أكتَبُ الناسُ؟ قالوا: كاتبُ رسول الله ﷺ زيد بن ثابت. قال: فأيُّ الناس أعرَبُ؟ قالوا: سعيد بن العاص. قال عثمان: فليُمْلِ سعيد، وليكتُبْ زيد. فكتب زيدٌ مصاحفَ ففرَّقها في الناس، فسمعتُ بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: قد أحسن[١]. إسناده صحيح.

وقال أيضاً: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد، حدثنا أبو بكر، حدثنا هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن كثير بن أفلح قال: لمَّا أرادَ عثمانُ أن يكتُبَ المصاحفَ جمع له اثني عشَرَ رجلاً من قريش والأنصار، فيهم أُبيُّ بن كعب وزيد بن ثابت، قال: فبعثوا إلى الرَّبْعَة التي في بيت عمر فجيء بها، قال: وكان عثمان يتعاهدهم، وكانوا إذا تدارؤوا في شيء أخَّره. قال محمد: فقلت لكثير ـ وكان فيهم فيمن يكتب ـ: هل تدرون لِمَ كانوا يؤخِّرونه؟ قال: لا. قال محمد: فظننتُ ظناً إنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم [عهداً بالعرضة الأخيرة فيكتبونها على قوله[٢]. صحيح أيضاً][٣].

قلت: الرَّبْعَةُ: هي الكتب المجتمعة، وكانت عند حفصة رضي الله عنها، فلما جمعَها عثمان ﷺ في المصحف، ردَّها إليها، ولم يحرقها في جملة ما حرقه [ممَّا سواها، إلا أنها هي بعينها الذي كتبه، وإنما رتَّبه، ثم كان قد عاهدها][٣] على أن يردَّها إليها، فما زالت عندها حتى ماتت، ثم أخذها مروان بن الحكم فحرقها، وتأوَّل في ذلك ما تأوَّل عثمان، كما رواه أبو بكر بن أبي داود: حدثنا محمد بن عوف، حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري، أخبرني سالم بن عبد الله، أن

---

(١) المصاحف لابن أبي داود (٨٢).

(٢) المصاحف لابن أبي داود (٨٩).

(٣) ما بين حاصرتين سقط من النسخة الخطية، وأثبت من كتاب المصاحف.

مروان كان يرسل إلى حفصة يسألُها الصُّحفَ التي كُتب منها القرآن، فتأبى حفصةُ أن تعطيه إياها. قال سالم: فلما توفيت حفصةُ ورجعنا من دفنها، أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليُرسِلَنَّ إليه بتلك الصحف، فأرسل بها إليه عبدُ الله بنُ عمر، فأمر بها مروان فشُقِّقت، وقال مروان: إنما فعلتُ هذا لأن ما فيها قد كُتِبَ وحُفِظَ بالمصحف، فخشيتُ إن طال بالناس زمانٌ أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتابٌ، أو يقول: إنه كان شيءٌ منها لم يُكتب[1]. إسناد صحيح.

وأما ما رواه الزُّهري، عن خارجة، عن أبيه في شأن آية الأحزاب وإلحاقهم إيَّاها في سورتها، فذِكْرُه لهذا بعد جمع عثمان فيه نظر، وإنَّما هذا كان حالَ جَمْعِ الصِّدِّيق الصحفَ كما جاء مصرَّحاً به في غير هذه الرواية عن الزهري، عن عُبيد بن السَّبَّاق، عن زيد بن ثابت، والدليل على ذلك أنه قال: «فألحقناها في سورتها من المصحف» وليست هذه الآية ملحقةً في الحاشية في المصاحف العثمانية.

فهذه الأفعال من أكبر القُرُبات التي بادر إليها الأئمة الراشدون أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، حَفِظا على الناس القرآن، جمعاه لئلا يذهب منه شيء، وعثمان ﷺ جمَعَ قراءات الناس على مصحفٍ واحدٍ، ووضَعَه على العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريلُ رسولَ الله ﷺ في آخر رمضان من عمره عليه الصلاة والسلام، فإنه عارضه به عامئذ مرتين؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته لمَّا مرض: **«وما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلي»** أخرجاه في **«الصحيحين»**[2].

وقد رُويَ أنَّ علياً ﷺ أراد أن يجمع القرآنَ بعد رسول الله ﷺ مرتباً بحسب نزوله أولاً فأولاً، كما رواه ابن أبي داود حيث قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، حدثنا ابن فُضَيل، عن أشعث، عن محمد بن سيرين قال: لمَّا توفي النبيُّ ﷺ أقسَمَ على ألاَّ يرتدي برداءٍ إلاَّ لجمعةٍ حتى يجمع القرآن في مصحف، ففعل، فأرسلَ إليه

---

(١) المصاحف لابن أبي داود (٨٥).

(٢) صحيح البخاري (٦٢٨٥ ـ ٦٢٨٦)، وصحيح مسلم (٢٤٥٠).

أبو بكرٍ ﷺ بعد أيام: أكَرِهْتَ إمارتي يا أبا الحسن؟ فقال: لا واللهِ، إلا أني أقسمتُ ألاَّ ارتدي برداءٍ إلاَّ لجمعة. فبايعه ثم رجع. هكذا رواه، وفيه انقطاع، ثم قال: لم يذكُرِ المصحفَ أحدٌ إلا أشعث، وهو ليِّن الحديث، وإنما رووا: حتى أجمَعَ القرآن، يعني: أتمَّ حِفْظَهن، فإنه يُقال للذي يحفظ القرآن: قد جمع القرآن[1].

قلت: وهذا الذي قاله أبو بكر أظهَرُ ـ والله أعلم ـ فإنَّ علياً لم يُنقَلْ عنه مصحفٌ على ما قيل ولا غيرُ ذلك، ولكن قد توجد مصاحفُ على الوضع العثماني، يقال: إنها بخطِّ عليٍّ ﷺ، وفي ذلك نظر، فإنه في بعضها: كتبه علي بن أبي طالب، وهذا لحن من الكلام، وعليٌّ ﷺ من أبعد الناس عن ذلك، فإنه ـ كما هو المشهور عنه ـ هو أول من وضع علم النحو، فيما رواه عنه أبو الأسود ظالم بن عمرو الدُّؤَلي، وأنه قسَمَ الكلامَ إلى اسمٍ وفعلٍ وحرف، وذكر أشياء أُخَر تمَّمها أبو الأسود بعده، ثم أخذه الناس عن أبي الأسود فوسَّعوه ووضَّحوه، وصار علماً مستقلاً.

وأما المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق عند الركن شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله، وقد كان قديماً بمدينة طبرية، ثم نُقِلَ منها إلى دمشق في حدود ثمان عشرة وخمس مئة، وقد رأيتُه كتاباً عزيزاً جليلاً عظيماً ضخماً، بخطٍّ حسنٍ مُبينٍ قويٍّ، بحبرٍ مُحكَمٍ، في رَقٍّ أظنُّه من جلود الإبل ـ والله أعلم ـ زاده الله تشريفاً وتكريماً وتعظيماً.

فأما عثمان ﷺ، فما يُعرَفُ أنه كتب بخطِّه هذه المصاحف، وإنما كتبها زيد بن ثابت في أيامه، ربما وغيره، فنُسبت إلى عثمان؛ لأنها بأمره وإشارته، ثم قُرئت على الصحابة بين يدَي عثمان، ثم نفذت إلى الآفاق، ﷺ.

وقد قال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا علي بن حرب الطائي، حدثنا قريش بن أنس، حدثنا سليمان التَّيمي، عن أبي نَضْرة، عن أبي سعيدٍ مولى بنى أسيد، قال: لمَّا دخل المصريون على عثمان ضربوه بالسيف على يده، فوقعت على: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ

(١) المصاحف لابن أبي داود (٣١).

﴿ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧]، فمدَّ يدَه وقال: واللهِ إنها لأولُ يدٍ خطَّتِ المُفصَّل[١].

وقال أيضاً: حدثنا أبو طاهر، حدثنا ابن وَهْب قال: سألتُ مالكاً عن مصحف عثمان، فقال لي: ذَهَب[٢]. يَحتَمِلُ أنه سأله عن المصحف الذي كتبه بيده، ويَحتَمِلُ أن يكون سأله عن المصحف الذي تركه في المدينة، والله أعلم.

قلتُ: وقد كانتِ الكتابةُ في العرب قليلةً جداً، وإنما أول ما تعلموا ذلك ما ذكره هشام بن محمد بن السائب الكلبي وغيره، أن بشر بن عبد الملك أُكَيدر دومة تعلم الخطَّ من الأنبار، ثم قدِمَ مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، فعلَّمه حربَ بن أمية وابنَه سفيان، وتعلمه عمر بن الخطاب من حرب بن أمية، وتعلَّمه معاوية من عمه سفيان بن حرب، وقيل: إن أول من تعلمه من الأنبار قومٌ من طيِّئٍ من قريةٍ هناك يُقال لها: بقية، ثم هذَّبوه ونشروه في جزيرة العرب فتعلمه الناس؛ ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا عبد الله بن محمد الزُّهري، حدثنا سفيان، عن مجالد[٣]، عن الشَّعبي قال: سألْنا المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا: [من أهل الحيرة. وسألنا أهل الحيرة: من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا:][٤] من أهل الأنبار[٥].

قلت: والذي كان يغلب على زمان السلف الكتابةُ المكتوفة، ثم هذَّبها أبو علي مقلة الوزير، وصار له في ذلك منهجٌ وأسلوبٌ في الكتابة، ثم قرَّبها علي بن هلال

---

(١) المصاحف لابن أبي داود (١)، وإسناده ضعيف، فيه قريش بن أنس وقد اختلط، والصحيح في هذا الأثر ما رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (٧٦٦) وغيره عن طريق معتمر، عن أبيه سليمان التيمي، به، وليس فيه قول عثمان.

(٢) المصاحف لابن أبي داود (١١٩)، وإسناده صحيح.

(٣) تحرف في النسخة الخطية إلى «مجاهد»، والصواب ما أثبتُّه من كتاب المصاحف.

(٤) ما بين حاصرتين سقط من النسخة الخطية، واستدركته من كتاب المصاحف.

(٥) المصاحف لابن أبي داود (١٢)، وإسناده ضعيف لضعف مجالد: وهو ابن سعيد الهمداني.

البغدادي المعروف بابن البواب، وسلك الناس وراءه، وطريقته في ذلك واضحةٌ جيدة، والغرض أن الكتابة لمَّا كانت في ذلك الزمان لم تُحكَمْ جيداً، وقع في كتابه المصاحف اختلافٌ في وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى، وصنَّفَ الناس في ذلك، واعتنى بذلك الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلاَّم رحمه الله في كتابه «فضائل القرآن»[١]، والحافظ أبو بكر بن أبي داود رحمه الله[٢]، فبوَّبا على ذلك، وذكر قطعةً صالحةً هي من صناعة القرآن، ليست مقصدنا ها هنا؛ ولهذا نصَّ الإمام مالك رحمه الله على أنه لا توضَعُ المصاحف إلا على وضع كتابة الإمام. ورخَّص غيره في ذلك، واختلفوا في الشكل والنقط، فمِنْ مُرخِّصٍ، ومِنْ مانعٍ، فأما كتابةُ السُّوَر وآياتِها والتعشيرِ والأجزاءِ والأحزابِ فكثيرٌ في مصاحف زماننا، والأولى اتباع السلف الصالح.

ثم قال البخاري:

ذِكْرُ كُتَّاب النبيِّ صلى الله عليه وسلم

وأورد فيه من حديث الزُّهري، عن ابن السَّبَّاق، عن زيد بن ثابت، أنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيق قال له: وكنتَ تكتبُ الوحيَ لرسول الله ﷺ، وذكر نحو ما تقدم في جمعه للقرآن[٣]، وقد تقدم، وأورد حديث زيد بن ثابت في نزول: ﴿لَّا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥][٤]، ولم يذكُرِ البخاري أحداً من الكُتَّاب في هذا الباب سوى زيد بن ثابت، وهذا عجب، وكأنه لم يقَعْ له حديثٌ يورده سوى هذا، والله أعلم. وموضع هذا في كتاب السيرة عند ذكر كُتَّابه عليه السلام.

ثم قال البخاري رحمه الله:

---

(١) ص٢٣٧ ـ ٢٤٣.

(٢) في كتابه «المصاحف» ٢/ ٤٩٤ ـ ٥٤٨.

(٣) صحيح البخاري (٤٩٨٩).

(٤) صحيح البخاري (٤٩٩٠).

أُنزِلَ القرآنُ على سبعة أحرف

حدثنا سعيد بن عُفَير، حدثنا اللَّيث، حدثني عُقيل، عن ابن شهاب، قال: حدثني عُبيد الله بن عبد الله، أن عبد الله بن عباس حدَّثه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«أقرأني جبريلُ على حرفٍ فراجعتُه، فلم أَزَلْ أستزيدُه ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»**[١].

وقد رواه ـ أيضاً ـ في بدء الخلق، ومسلم من حديث يونس، ومسلم ـ أيضاً ـ من حديث معمر، كلاهما عن الزُّهري بنحوه[٢].

ورواه ابن جرير من حديث الزُّهري، به. ثم قال الزُّهري: بلغني أنَّ تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا تختلف في حلالٍ ولا في حرام[٣].

وهذا مبسوطٌ في الحديث الذي رواه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلاَّم حيث قال: حدثنا يزيد ويحيى بن سعيد، كلاهما عن حُميد الطويل، عن أنس بن مالك، عن أُبيٍّ ابن كعب قال: ما حكَّ في صدري شيءٌ منذ أسلمت، إلا أنني قرأتُ آيةً وقرأها آخر غير قراءتي، فقلتُ: أقرأنيها رسولُ الله ﷺ، فقال: أقرأنيها رسولُ الله ﷺ، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله، أقرأتَني آيةَ كذا وكذا؟ قال: **«نعم»**. فقال: **«إن جبريل وميكائيل أتَياني، فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: اقرإ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزِدْه، حتى بلغ سبعة أحرفٍ، وكلُّ حرفٍ شافٍ كافٍ»**[٤].

وقد رواه النسائي من حديث يزيد ـ وهو ابن هارون ـ ويحيى بن سعيد القطان،

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٩١).

(٢) صحيح البخاري (٣٢١٩)، وصحيح مسلم (٨١٩).

(٣) تفسير الطبري ١/ ١٤.

(٤) فضائل القرآن ص٢٠١، وإسناده صحيح، وأخرجه أحمد في «مسنده» (٢١٠٩٣) عن يحيى بن سعيد، به. وانظر تمام تخريجه هناك.

كلاهما عن حُميد الطويل، عن أنس، عن أُبيٍّ بن كعب بنحوه[١].

وكذا رواه ابن أبي عدي ومحمود بن ميمون الزَّعفراني ويحيى بن أيوب، كلُّهم عن حُميد، به[٢].

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن مرزوق، حدثنا أبو الوليد، حدثنا حماد بن سلمة، عن حُميد، عن أنس، عن عبادة بن الصامت، عن أُبيٍّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: **«أُنزِلَ القرآنُ على سبعة أحرف»**[٣] فأدخل بينهما عبادة بن الصامت.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: حدثنا يحيى بن سعيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، حدثني عبد الله بن عيسى، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أُبيٍّ بن كعب، قال: كنتُ في المسجد، فدخل رجلٌ، فقرأ قراءةً أنكرتُها عليه، ثم دخلَ آخَرُ فقرأ قراءةً سوى قراءةِ صاحبِه، فقُمنا جميعاً فدخَلْنا على رسولِ الله ﷺ، فقلتُ: يا رسولَ الله، إنَّ هذا قرأ قراءةً أنكرتُها عليه، ثم دخلَ هذا، فقرأ قراءةً غيرَ قراءةِ صاحبه، فقال لهما النبيُّ ﷺ: **«اقرآ»**، فقرآ، فقال: **«أصبتُما»** فلمَّا قال لهما النبيُّ ﷺ الذي قال كبُرَ عليَّ، ولا إذْ كنتُ في الجاهلية، فلمَّا رأى الذي غشِيني ضربَ في صدري فَفِضْتُ عرقاً، وكأنما أنظر إلى اللهِ فرَقاً، فقال: **«يا أُبيُّ، إنَّ ربي أرسل إليَّ أنِ اقرإ القرآنَ على حرف، فرددتُ إليه أنْ هوِّنْ على أمتي، فأرسل إليَّ أنِ اقرأْهُ على حرفين، فرددتُ إليه أن هوِّنْ على أمتي، فأرسلَ إليَّ أنِ اقرأْهُ على سبعةِ أحرف، ولكَ بكلِّ ردَّةٍ مسألةٌ تسألُنيها»**. قال: **«قلتُ: اللهمَّ اغفِرْ لأُمتي، اللهمَّ اغفِرْ لأُمتي، وأَخَّرتُ الثالثةَ ليومٍ يرغَبُ إليَّ فيه الخلقُ حتى إبراهيم عليه السلام»**[٤].

---

(١) سنن النسائي الكبرى (٧٩٨٦).

(٢) وروي ـ أيضاً ـ من طرق أخرى كما في «مسند أحمد» (٢١٠٩٣) و (٢١١٣٣) و (٢١١٣٤).

(٣) تفسير الطبري ١/ ١٥، وإسناده صحيح، وأخرجه ـ أيضاً ـ أحـ ـد (٢١٠٩٢) عن عفان، عن حماد بن سلمة، به.

(٤) مسند أحمد (٢١١٧١).

وهكذا رواه مسلم من حديث إسماعيل بن أبي خالد، به[١].

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا محمد بن فضيل، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، عن جده، عن أُبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرفٍ واحد، فقلتُ: خفِّفْ عن أمتي، فقال: اقرأه على حرفين، فقلتُ: ربِّ خفِّفْ عن أمتي، فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرفٍ من سبعة أبواب الجنة، كلُّها شافٍ كافٍ»**[٢].

وقال ابن جرير: حدثنا يونس، عن ابن وهب، أخبرني هشام بن سعد، عن عُبيد الله بن عمر، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أُبيّ بن كعب أنه قال: سمعتُ رجلاً يقرأ في سورة النحل قراءةً تخالفُ قراءتي، ثم سمعتُ آخرُ يقرؤها بخلاف ذلك، فانطلقتُ بهما إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعتُ هذين يقرآن في سورة النحل فسألتُهما: مَنْ أقرأكُما؟ فقالا: رسولُ الله ﷺ، فقلتُ لأذهبنَّ بكما إلى رسول الله إذ خالفتُما ما أقرأني رسول الله ﷺ، فقال رسول ﷺ لأحدهما: **«اقرأ»** فقرأ، فقال: **«أحسنت»** ثم قال للآخر: **«اقرأ»** فقرأ، فقال: **«أحسنت»**. قال أُبيّ: فوجدتُ في نفسي وسوسة الشيطان حتى احمرَّ وجهي، فعرفَ ذلك رسولُ الله ﷺ في وجهي، فضرب يدَه في صدري، ثم قال: **«اللهمَّ اخسَأ الشيطانَ عنه، يا أُبيُّ، أتاني آتٍ من ربي فقال: إنَّ الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفٍ واحد، فقلتُ: ربِّ خفِّفْ عن أمتي، ثم أتاني الثانيةَ فقال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين، فقلتُ: ربِّ خفِّفْ عن أمتي، ثم أتاني الثالثةَ فقال: مثلَ ذلك، وقلتُ له مثلَ ذلك، ثم أتاني الرابعةَ فقال: إنَّ الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعةِ أحرف، ولكَ بكلِّ ردَّةٍ مسألة، فقلت: يا ربِّ، اللهمَّ اغفِرْ لأمتي، يا ربِّ اغفِرْ لأمتي، واختبأتُ الثالثةَ شفاعةً لأمتي يوم القيامة»**[٣]. إسناده صحيح.

---

(١) صحيح مسلم (٨٢٠).

(٢) تفسير الطبري ١/١٦ ـ ١٧. وانظر تمام تخريجه في «مسند أحمد» (٢١١٧١).

(٣) تفسير الطبري ١/١٧ ـ ١٨.

قلت: وهذا الشكُّ الذي حصل لأُبيٍّ في تلك الساعة هو ـ واللهُ أعلم ـ السببُ الذي لأجله قرأ عليه رسولُ الله ﷺ قراءةَ إعلامٍ وبلاغٍ ودواءٍ لما كان حصل له سورةَ ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ إلى آخرها؛ لاشتمالها على قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: ٢، ٣]، وهذا نظير تلاوته سورة الفتح حين أُنزِلَتْ مرجِعَه عليه السلام من الحديبيَّة على عمر بن الخطاب، وذلك لما كان تقدَّم له من الأسئلة لرسول الله ﷺ ولأبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧].

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن أبي ليلى، عن أُبيٍّ بن كعب، أنَّ رسول الله ﷺ كان عند أضاةِ بني غفار، فأتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتكَ القرآن على حرف. قال: **«أسألُ اللهَ معافاتَه ومغفرتَه، فإنَّ أمتي لا تُطيقُ ذلك»**. ثم أتاه الثانيةَ فقال: إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتكَ القرآن على حرفين. قال: **«أسألُ اللهَ معافاتَه ومغفرتَه، فإنَّ أمتي لا تُطيقُ ذلك»**. ثم جاءه الثالثةَ قال: إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتكَ القرآن على ثلاثة أحرف. قال: **«أسألُ اللهَ معافاتَه ومغفرتَه، فإنَّ أمتي لا تُطيقُ ذلك»**. ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتكَ القرآن على سبعة أحرف، فأيُّما حرفٍ قرؤوا عليه فقد أصابوا[(١)].

وأخرجه مسلم، وأبو داود، والنسائي، من رواية شعبة، به[(٢)].

وفي لفظٍ لأبي داود عن أُبيِّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا أُبيُّ، إني أُقرِئتُ القرآنَ فقيل لي: على حرفٍ أو حرفين؟ فقال الملَكُ الذي معي: قُلْ: على حرفين. قلتُ: على حرفين. فقيل لي: على حرفين أو ثلاثة؟ فقال الملك الذي معي: قُلْ: على ثلاثة. قلت: على ثلاثة. حتى بلغ سبعة أحرف، ثم قال: ليس منها إلاَّ**

(١) تفسير الطبري ١/ ١٧ .

(٢) صحيح مسلم (٨٢١) ، وسنن أبي داود (١٤٧٨)، وسنن النسائي ٢/ ١٥٢ .

شافٍ كافٍ، إن قلتَ: سميعاً عليماً، عزيزاً حكيماً، ما لم تختِمْ آيةَ عذابٍ برحمةٍ، أو آيةَ رحمةٍ بعذاب»[١].

وقد روى ثابت بن قاسم نحواً من هذا عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ[٢]، ومن كلام ابن مسعود ﷺ نحو ذلك[٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن علي الجُعفي، عن زائدة، عن عاصم، عن زِرّ، عن أُبيٍّ قال: لقي رسولُ الله ﷺ جبريلَ عند أحجار المِراء، فقال رسول الله ﷺ لجبريل: **«إني بُعِثتُ إلى أمةٍ أمِّيين، فيهم الشيخ العاسي، والعجوز الكبيرة، والغلام»** قال: فمُرْهم فليقرؤوا القرآن على سبعة أحرف[٤].

وأخرجه الترمذي من حديث عاصم بن أبي النَّجود، عن زِرّ، [عن أُبيٍّ بن كعب، به. وقال: حسن صحيح[٥].

وقد رواه أبو عبيد عن أبي النَّضر، عن شيبان، عن عاصم بن أبي النَّجود، عن زِرّ، عن حُذيفة، أنَّ رسولَ الله لقي جبريلَ عند أحجار المِراء، فذكر الحديث[٦]، والله أعلم.

وهكذا رواه الإمام أحمد عن عفان، عن حماد، عن عاصم، عن زِرّ،][٧] عن حُذيفة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«لقيتُ جبريل عند أحجار المِراء، فقلتُ: يا جبريل، إني أُرسِلتُ إلى أمةٍ أُميَّة؛ الرجل، والمرأة، والغلام، والجارية، والشيخ العاسي،**

---

(١) سنن أبي داود (١٤٧٧).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٨٣٩٠) من طريق أبي سلمة، عن أبي هريرة، به.

(٣) وقد تقدم ص٣٦.

(٤) مسند أحمد (٢١٢٠٤)، وهو حديث صحيح.

(٥) سنن الترمذي (٢٩٤٤).

(٦) فضائل القرآن ص٢٠٢.

(٧) ما بين حاصرتين سقط من النسخة الخطية، واستدركته من طبعة دار طيبة.

الذي لم يقرأ كتاباً قطُّ، فقال: إنَّ القرآنَ أُنزِلَ على سبعة أحرف»[١].

وقال أحمد أيضاً: حدثنا وكيع وعبد الرحمن، عن سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن رِبْعي بن حِراش، حدثني مَنْ لم يكذِبْني ـ يعني حُذيفةَ ـ قال: لقي النبيُّ ﷺ جبريلَ عند أحجار المِراء فقال: إنَّ أمتكَ يقرؤون القرآن على سبعة أحرف، فمَنْ قرأ منهم على حرفٍ فليقرأ كما عُلِّمَ، ولا يرجِعْ عنه. وقال عبد الرحمن: إن في أمتك الضعيف، فمن قرأ على حرفٍ فلا يتحوَّلْ منه إلى غيره رغبةً عنه[٢]. وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه.

حديثٌ آخر في معناه عن سليمان بن صُرَد: قال ابن جرير: حدثنا إسماعيل بن موسى السُّدِّي، حدثنا شَريك، عن أبي إسحاق، عن سليمان بن صُرد ـ يرفعه ـ قال: **«أتاني ملكان، فقال أحدهما: اقرأ. قال: على كم؟ قال: على حرف. قال: زِدْه، حتى انتهى إلى سبعة أحرف»**[٣].

ورواه النسائي في **«اليوم والليلة»** عن عبد الرحمن بن محمد بن سلام، عن إسحاق الأزرق، عن العَوَّام بن حَوْشَب، عن أبي إسحاق، عن سليمان بن صُرَد قال: أتى أبيُّ بنُ كعبٍ رسولَ الله ﷺ برَجُلين اختلفا في القراءة، فذكر الحديث[٤].

وهكذا رواه أحمد بن مَنيع، عن يزيد بن هارون، عن العوَّام بن حَوْشَب، به.

ورواه أبو عُبيد، عن يزيد بن هارون، عن العوَّام، عن أبي إسحاق، عن سليمان ابن صُرَد، عن أُبيٍّ أنه أتى النبيَّ ﷺ برَجُلين فذكره[٥].

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كُرَيب، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا إسرائيل، عن أبي

---

(١) مسند أحمد (٢٣٣٩٨) «العاسي» من عَسَا، إذا كبِرَ وأسَنَّ. المعجم الوسيط» (عسَوَ).

(٢) مسند أحمد (٢٣٢٧٣) و (٢٣٤١٠).

(٣) تفسير الطبري ١/ ١٤.

(٤) سنن النسائي الكبرى (١٠٥٠٦).

(٥) فضائل القرآن ص٢٠٢.

إسحاق، عن فُلان العبدي ـ قال ابن جرير: ذهبَ عني اسمُه ـ عن سليمان بن صُرَد، عن أبي بن كعب قال: رِحْتُ إلى المسجد، فسمعتُ رجلاً يقرأُ، فقلت: مَنْ أقرأكَ؟ قال: رسولُ الله ﷺ، فانطلقتُ به إلى رسولِ الله ﷺ، فقلتُ: استقرِئْ هذا. قال: فقرأ، فقال: «أحسنت» قال: قلتُ: إنك أقرأتني كذا وكذا! فقال: «وأنتَ قد أحسنت». فقلت: قد أحسنتَ قد أحسنتَ. قال: فضربَ بيده على صدري ثم قال: «اللهمَّ أذهِبْ عن أُبيٍّ الشَّكَّ». قال: ففِضْتُ عرقاً، وامتلأ جوفي فَرقاً. قال: ثم قال: «إنَّ الملَكين أتياني، فقال أحدهما: اقرأ القرآن على حرف، وقال الآخر: زده. قال: قلت: زدني. فقال: اقرأه على حرفين، حتى بلغ سبعةَ أحرف، فقال: اقرأه على سبعة أحرف»[1].

وقد رواه أبو عُبيد، عن حجاج، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن شُتَير العبدي، عن سليمان بن صُرَد عن أُبيٍّ، عن النبيِّ ﷺ بنحو ذلك[2].

ورواه أبو داود، عن أبي داود الطيالسي، عن همَّام، عن قَتادة، عن يحيى بن يَعْمَر، عن سليمان بن صُرَد، عن أُبيِّ بنِ كعب بنحوه[3].

فهذا الحديث محفوظٌ من حيث الجملة عن أُبيِّ بن كعب، والظاهر أنَّ سليمان ابن صُرَد الخزاعي شاهدٌ على ذلك، والله أعلم.

حديثٌ آخر عن أبي بَكرة: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، عن النبيِّ ﷺ قال: «أتاني جبريل وميكائيل عليهما السلام، فقال جبريل: اقرإِ القرآنَ على حرفٍ واحد، فقال ميكائيل: استزِدْه، فقال: اقرأ على سبعة أحرف، كلُّها شافٍ كافٍ، ما لم تختِمْ آيةَ رحمةٍ بآيةِ عذاب، أو آيةَ عذابٍ برحمة»[4].

---

(١) تفسير الطبري ١/ ١٥ .

(٢) فضائل القرآن ص٢٠٢ .

(٣) سنن أبي داود (١٤٧٧) .

(٤) مسند أحمد (٢٠٤٢٥) ، وهو حديث صحيح لغيره.

وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كُرَيب، عن زيد بن الحُباب، عن حماد بن سلمة، به. وزاد في آخره: كقولك: هلُمَّ وتعالَ[١].

حديثٌ آخر عن سمرة: قال الإمام أحمد: حدثنا بَهْز وعفان، كلاهما عن حماد ابن سلمة، حدثنا قَتادة، عن الحسن، عن سَمُرة، أن رسول الله ﷺ قال: **«أُنزِلَ القرآنُ على سبعة أحرف»**[٢]. إسناد صحيح، ولم يخرجوه[٣].

حديثٌ آخر عن أبي هريرة: قال الإمام أحمد: حدثنا أنس بن عِياض، حدثني أبو حازم، عن أبي سلمة ـ لا أعلمه إلا عن أبي هريرة ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«نزلَ القرآنُ على سبعة أحرف، مِراءٌ في القرآن كفر ـ ثلاث مرات ـ فما علِمتُم منه فاعلموا، وما جهلتم منه فرُدُّوه إلى عالمه»**[٤].

ورواه النَّسائي عن قُتيبة، عن أبي ضمرة أنس بن عِياض، به[٥].

حديثٌ آخر عن أم أيوب: قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عُبيد الله ـ وهو ابن أبي يزيد ـ عن أبيه، عن أم أيوب ـ يعني امرأة أبي أيوب ـ الأنصارية، أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«أُنزِلَ القرآنُ على سبعة أحرف، أيها قرأتَ أجزأكَ»**[٦]. وهذا إسنادٌ صحيحٌ[٧]، ولم يخرِّجه أحدٌ من أصحاب الكتب الستة.

---

(١) تفسير الطبري ١/١٨ و ٢٢، والزيادة ضعيفة لتفرد علي بن زيد بن جدعان بها، وهو ضعيف لا يحتمل تفرده.

(٢) مسند أحمد (٢٠١٧٩) عن بهز، و(٢٠٢٦٢) عن عفان، وروايته بلفظ: «ثلاثة أحرف» بدلاً من «سبعة أحرف».

(٣) بل إسناده ضعيف لانقطاعه، فالحسن ـ وهو البصري ـ لم يسمع من سمرة سوى حديث واحد في العقيقة. لكن الحديث له شواهد كثيرة يتصحح بها، فهو صحيح لغيره.

(٤) مسند أحمد (٧٩٨٩)، وإسناده صحيح.

(٥) سنن النسائي الكبرى (٨٠٩٣).

(٦) مسند أحمد (٢٧٤٤٢).

(٧) بل إسناده ضعيف لجهالة أبي يزيد والد عبيد الله، لكن الحديث له شواهد يتصحح بها، فهو صحيح لغيره.

حديث آخر عن أبي جُهيم: قال أبو عُبيد: حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن يزيد بن خُصَيفة، عن مسلم بن سعيد مولى ابن الحضرمي ـ وقال غيره: عن بُسر بن سعيد ـ عن أبي جُهيم الأنصاري، أنَّ رجلين اختلفا في آيةٍ من القرآن، كلاهما يزعم أنه تلقَّاها من رسول الله ﷺ، فمشَيا جميعاً حتى أتَيا رسولَ الله ﷺ، فذكر أبو جُهيم أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، فلا تمارَوا، فإن مراءً فيه كفر**»[1]. هكذا رواه أبو عُبيد على الشك.

وقد رواه الإمام أحمد على الصواب، فقال: حدثنا أبو سلمة الخُزاعي، حدثنا سليمان بن بلال، حدثني يزيد بن خُصَيفة، أخبرني بُسْر بن سعيد، حدثني أبو جُهَيم، أنَّ رجلين اختلفا في آيةٍ من القرآن، فقال هذا: تلقَّيتُها من رسول الله ﷺ، وقال هذا: تلقَّيتُها من رسول الله ﷺ، فسألا النبيَّ ﷺ، فقال: «**القرآن يُقرأ على سبعة أحرف، فلا تَماروا في القرآن، فإنَّ مراءً في القرآن كفر**»[2]. وهذا إسنادٌ صحيحٌ ـ أيضاً ـ ولم يخرجوه.

ثم قال أبو عُبيد: حدثنا عبد الله بن صالح، عن اللَّيث، عن يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن بُسر بن سعيد، عن أبي قيس ـ مولى عمرو بن العاص ـ أنَّ رجلاً قرأ آيةً من القرآن، فقال له عمرو ـ يعني ابن العاص ـ: إنما هي كذا وكذا، بغير ما قرأ الرجل، فقال الرجل: هكذا أقرأنيها رسولُ الله ﷺ، فخرجا إلى رسول الله ﷺ حتى أتَياه، فذَكَرا ذلك له، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، فأيُّ ذلك قرأتُم أصبتُم، فلا تمارَوا في القرآن، فإن مِراءً فيه كفر**»[3].

ورواه الإمام أحمد، عن أبي سلمة الخُزاعي، عن عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرَمة، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد، عن بُسْر

---

(١) فضائل القرآن ص٢٠٢.

(٢) مسند أحمد (١٧٥٤٢).

(٣) فضائل القرآن ص٢٠٢.

ابن سعيد، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص، به نحوه، وفيه: **«فإنَّ المراءَ فيه كفر، أو إنه الكفر به»**[١]. وهذا ـ أيضاً ـ حديثٌ جيد.

حديثٌ آخر عن ابن مسعود: قال ابن جرير: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وَهْب، أخبرني حَيْوة بن شُرَيح، عن عُقَيل بن خالد، عن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«كان الكتاب الأول نزَلَ من بابٍ واحدٍ وعلى حرفٍ واحدٍ، ونزل القرآن من سبعة أبوابٍ وعلى سبعة أحرف: زاجرٍ، وآمرٍ، وحلالٍ، وحرامٍ، ومُحكَمٍ، ومتشابهٍ، وأمثالٍ، فأحِلُّوا حلالَه، وحرِّموا حرامَه، وافعلوا ما أُمِرتُم به، وانتَهُوا عما نُهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمُحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آمنا به كلٌّ من عند ربِّنا»**[٢].

ثم رواه عن أبي كُرَيب، عن المُحاربي، عن ضمرة بن حبيب، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن ابن مسعود من كلامه، وهو أشبه، والله أعلم.

فصـــل

قال أبو عُبيد: قد تواترت هذه الأحاديث كلُّها عن الأحرف السبعة إلا ما حدثني عفان، عن حماد بن سلمة، عن قَتادة، عن الحسن، عن سَمُرة بن جُنْدُب، عن النبيِّ ﷺ قال: **«نزَلَ القرآنُ على ثلاثة أحرف»**[٣].

قال أبو عُبيد: ولا نرى المحفوظ إلا السبعة؛ لأنها المشهورة، وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يُقرأ على سبعة أوجه، وهذا شيء غير موجود، ولكنه عندنا أنه نزل سبع لغاتٍ متفرقةٍ في جميع القرآن من لغات العرب، فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة، والثاني بلغة أخرى سوى الأولى، والثالث بلغةٍ أخرى

---

(١) مسند أحمد (١٧٨٢١).

(٢) تفسير الطبري ١/ ٣٠.

(٣) فضائل القرآن ص٢٠٣، وأخرجه ـ أيضاً ـ أحمد (٢٠٢٦٢) عن عفان، به. وإسناده ضعيف لانقطاعه، فإن الحسن ـ وهو البصري ـ لم يسمع من سمرة سوى حديث واحد في العقيقة.

سواهما، كذلك إلى السبعة، وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظاً فيها من بعض، وذلك بيِّنٌ في أحاديثَ تترى.

قال: وقد روى الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزل القرآن على سبع لغات، منها خمس بلغة العجُزِ من هوازن.

قال أبو عبيد: والعجز هم بنو سعد بن بكر، وجُشَم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثَقيف هم عُليا هوازن الذين قال أبو عَمرو بن العلاء: أفصح العرب عُليا هوازن وسُفلى تميم، يعني: دارم، ولهذا قال عمر: لا يُملي في مصاحفنا إلا غلمانُ قريشٍ أو ثَقيف[١].

قال ابن جرير: واللغتان الأخريان: قريشٌ وخُزاعة. رواه قتادة عن ابن عباس[٢]، ولكن لم يلْقَه.

قال أبو عُبيد: وحدثنا هُشَيم، عن حُصَين بن عبد الرحمن، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة، عن ابن عباس؛ أنه كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر. قال أبو عُبيد: يعني: أنه كان يستشهد به على التفسير[٣].

وحدثنا هُشَيم، عن أبي بشر، عن سعيد أو مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق:١٧]، قال: ما جمع. وأنشد:

قَدِ اتَّسَقْنَ لو يَجِدْنَ سائقا[٤]

حدثنا هُشَيم، أنبأنا حُصَين، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات:١٤]، قال: الأرض. قال: وقال ابن عباس: قال أمية بن أبي

(١) فضائل القرآن ص٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٢) تفسير الطبري ١/ ٢٩.

(٣) فضائل القرآن ص٢٠٥.

(٤) فضائل القرآن ص٢٠٦.

الصلت:

عندهم لحم بحرٍ ولحم ساهرة[١]

حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: كنت لا أدري ما ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١]، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتُها. يقول: أنا ابتدأتها[٢]. إسنادٌ جيدٌ أيضاً.

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله بعد ما أورد طرفاً مما تقدم: وصحَّ وثبتَ أن الذي نزل به القرآن من ألسُنِ العرب البعضُ منها دون الجميع، إذا كان معلوماً أن ألسنتَها ولغاتِها أكثر من سبع بما يعجز عن إحصائه. فإن قال: وما برهانُكَ على ما قُلتَه دون أن يكون معناه ما قاله مخالفوك، من أنه نزل بأمرٍ وزجرٍ، وترغيبٍ وترهيب، وقصصٍ ومثل، ونحو ذلك من الأقوال، فقد علمتَ قائلَ ذلك من سلف الأمة وخيار الأئمة؟ قيل له: إن الذين قالوا ذلك لم يدَّعوا أن تأويل الأخبار التي تقدَّم ذِكْرُها هو ما زعمتَ أنهم قالوه في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن دون غيره، فيكون ذلك لقولنا مخالفاً، وإنما أخبروا أن القرآن نزل على سبعة أحرف، يعنون بذلك أنه نزل على سبعة أوجه، والذي قالوه من ذلك، كما قالوا: وقد روينا بمثل الذي قالوا من ذلك عن رسول الله ﷺ وعن جماعةٍ من الصحابة، من أنه نزل من سبعة أبواب الجنة، كما تقدم يعني: كما تقدم في روايةٍ عن أبيٍّ بن كعب وعبد الله بن مسعود: أن القرآن نزل من سبعة أبواب الجنة.

قال ابن جرير: والأبواب السبعة من الجنة هي المعاني التي فيها من الأمر والنهي، والترغيب والترهيب، والقَصص والمثَل، التي إذا عمل بها العامل، وانتهى إلى حدودها المنتهى، استوجَبَ بها الجنة.

---

(١) فضائل القرآن ص٢٠٦.

(٢) فضائل القرآن ص٢٠٦.

ثم بسَطَ القولَ في هذا بما حاصله: أنَّ الشارع رخَّصَ للأمة التلاوة على سبعة أحرف[١].

ثم لمَّا رأى الإمام أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ اختلاف الناس في القراءة، وخافَ من تفرُّقِ كلمتهم، جمعهم على حرف واحد، وهو هذا المصحف الإمام، قال: واستوثقَتْ له الأمة على ذلك بالطاعة، ورأتْ أنَّ فيما فعله من ذلك الرشد والهداية، وتركتِ القراءةَ بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها العادل في تَرْكِها طاعةً منها له، ونظراً منها لأنفسها ولمن بعدَها من سائر أهل مِلَّتها، حتى درست من الأمة معرفتها، وتعفَّت آثارُها، فلا سبيل اليوم لأحدٍ إلى القراءة بها لدثورها وعُفوِّ آثارها. إلى أن قال: فإن قال مَنْ ضعُفَتْ معرفته: وكيف جاز لهم ترك قراءة اقرأهموها رسولُ الله ﷺ وأمرهم بقراءتها؟ قيل: إنَّ أمْرَه إيَّاهم بذلك لم يكن أمرَ إيجابٍ وفرض، وإنما كان أمر إباحة ورخصة؛ لأن القراءة بها لو كانت فرضاً عليهم لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من يقوم بنقله الحجة، ويقطع خبره العذر، ويزيل الشكَّ من قراءة الأمة، وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضحُ الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيَّرين. إلى أن قال: فأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرفٍ ونصبه وجرِّه وتسكين حرفٍ وتحريكه، ونقْلِ حرفٍ إلى آخر مع اتفاق الصورة في معنى قول النبي ﷺ: **«أُمرتُ أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف»** بمعزل؛ لأنَّ المِراء في مثل هذا ليس بكفر، في قول أحدٍ من علماء الأمة، وقد أوجب ﷺ بالمراء في الأحرف السبعة الكفر، كما تقدم[٢].

الحديث الثاني: قال البخاري رحمه الله: حدثنا سعيد بن عُفَير، حدثنا اللَّيث، حدثنا عُقَيل، عن ابن شهابٍ قال: أخبرني عروة بن الزبير: أنَّ المِسْورَ بنَ مَخْرَمة وعبد الرحمن بن عبدٍ القاريَّ حدَّثاه، أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعتُ

---

(١) تفسير الطبري ١/ ٢٠.

(٢) تفسير الطبري ١/ ٢٧ ـ ٢٨.

هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعتُ لقراءته فإذا هو يقرأ على حروفٍ كثيرةٍ لم يُقرئنيها رسولُ الله ﷺ، فكِدْتُ أُساوِرُه في الصلاة، فتصبَّرتُ حتى سلَّم، فلبَبْتُه بردائه فقلتُ: من أقرأك هذه السورة التي سمعتُك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسولُ الله ﷺ. فقلتُ: كذبتَ، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقتُ به أقودُه إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعتُ هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تُقرئنيها! فقال رسول الله ﷺ: **«أرسِلْه، اقرأ يا هشام»**، فقرأ عليه القراءة التي سمعتُه يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: **«كذلك أُنْزِلت»**، ثم قال: **«اقرأ يا عمر»**، فقرأتُ القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: **«كذلك أُنْزِلت، إنَّ القرآنَ أُنزِلَ على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسَّرَ منه»**[1].

وقد رواه الإمام أحمد، والبخاري أيضاً، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، والتِّرمذي من طرقٍ عن الزُّهري[2].

ورواه الإمام أحمد ـ أيضاً ـ عن ابن مهدي، عن مالك، عن الزُّهري، عن عروة، عن عبد الرحمن بن عبد، عن عمر، فذكر الحديث بنحوه[3].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حرب بن ثابت، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أبيه، عن جده قال: قرأ رجلٌ عند عمرَ فغيَّر عليه، فقال: قرأتُ على رسول الله ﷺ فلم يُغيِّرْ عليَّ. قال: فاجتمعا عند النبيِّ ﷺ، فقرأ الرجل على النبيِّ ﷺ، فقال له: **«قد أحسنت»**. قال: فكأنَّ عمرَ وجدَ من ذلك، فقال رسول الله ﷺ: **«يا عمر، إنَّ القرآنَ كلَّه صوابٌ، ما لم يجعَلْ عذاباً مغفرةً، أو مغفرةً**

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٩٢).

(٢) مسند أحمد (٢٩٦)، وصحيح البخاري (٥٠٤١) و (٦٩٣٦)، وصحيح مسلم (٨١٨) (٢٧١)، وسنن أبي داود (١٤٧٥) وسنن النسائي ٢/ ١٥٠، وسنن الترمذي (٢٩٤٣).

(٣) مسند أحمد (٢٧٧)، وهو في «الموطأ» ١/ ٢٠١، وأخرجه من طريق مالك أيضاً: البخاري (٢٧١٩)، ومسلم (٨١٨) (٢٧٠)، وأبو داود (١٤٧٥)، والنسائي ٢/ ١٥٠.

عذاباً»[١]. وهذا إسناد حسن، وحرب بن ثابت هذا يُكنى بأبي ثابت، لا نعرف أحداً جرحه.

[أقوال العلماء في معنى السبعة احرف][٢]

وقد اختلف العلماء في معنى هذه السبعة الأحرف وما أُريد منها على أقوال؛ قال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي المالكي في مقدمات تفسيره: وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسةٍ وثلاثين قولاً، ذكرها أبو حاتم محمد بن حِبَّان البُستي، ونحن نذكر منها خمسة أقوال.

قلت: ثم سردَها القرطبي، وحاصلها ما أنا مُورِدُه ملخَّصاً:

فالأول: ـ وهو قول أكثر أهل العلم، منهم سفيان بن عُيينة، وعبد الله بن وهب، وأبو جعفر بن جرير، والطحاوي ـ أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظٍ مختلفةٍ نحو: أقبِلْ وتعالَ وهَلُمَّ. وقال الطحاوي: وأبيَنُ ما ذُكِرَ في ذلك حديثُ أبي بكرة قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال: اقرأ على حرف، فقال ميكائيل: استزِدْه، فقال: اقرأ على حرفين، فقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ سبعة أحرف، فقال: اقرأ فكلٌّ شافٍ كافٍ إلا أن تخلط آيةَ رحمةٍ بآية عذاب، أو آيةَ عذابٍ بآية رحمة، على نحو: هلُمَّ، وتعالَ، وأقبِلْ، واذهَبْ، وأسرِعْ، وعجِّل.

ورُوي عن ورقاء، عن أبي نَجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أُبيِّ بن كعب: أنه كان يقرأ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]: «للذين آمنوا أمهلونا» «للذين آمنوا أخرونا» «للذين آمنوا ارقبونا»، وكان يقرأ: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠]: «مَرُّوا فيه» «سَعَوا فيه». قال الطحاوي وغيره: وإنما كان ذلك رخصةً أن يقرأ الناس القرآن على سبع لغات، وذلك لمَّا كان يتعسَّر على كثير من الناس التلاوة على لغة قريش، وقرأه رسول الله ﷺ لعدم علمهم

---

(١) مسند أحمد (١٦٣٦٦).

(٢) هذا العُنوان أُثبت من طبعة الشيخ محمد رشيد رضا.

بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ، وقدِ ادَّعى الطحاويُّ والقاضي الباقلاني والشيخ أبو عمر بن عبد البر أن ذلك كان رخصةً في أول الأمر، ثم نسخ بزوال العذر، وتيسر الحفظ وكثرة الضبط، وتعلُّم الكتابة.

قلت: وقال بعضهم: إنما كان الذي جمعَهم على قراءةٍ واحدةٍ أميرُ المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ أحد الخلفاء الراشدين المهديين المأمور باتباعهم، وإنما جمعَهم عليها لِما رأى من اختلافهم في القراءة المُفضية إلى تفرُّقِ الأمة وتكفير بعضهم بعضاً، فرتب لهم المصاحف الأئمة على العرضة الأخيرة التي عارضَ بها جبريلُ رسولَ الله ﷺ في آخر رمضان من عمره عليه الصلاة والسلام، وعزَمَ عليهم ألا يقرؤوا بغيرها، وألا يتعاطى الرخصة التي كانت لهم فيها سعة، ولكنها أفضت إلى الفُرقة والاختلاف، كما ألزم عمر بن الخطاب الناس بالطلاق الثلاثة المجموعة حين تتابعوا فيه وأكثروا منها، قال: فلو أنَّا أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم. وكان كذلك ينهى عن المتعة في أشهر الحج؛ لئلا ينقطع زيارة البيت في غير أشهر الحج. وقد كان أبو موسى يُفتي بالتمتع فترك فُتياه اتباعاً لأمير المؤمنين وسمعاً وطاعةً للأئمة المهديين.

القول الثاني: أن القرآن نزل على سبعة أحرف، وليس المراد أن جميعه يُقرأ على سبعة أحرف، ولكن بعضه على حرف، وبعضه على حرف آخر. قال الخطابي: وقد يُقرأ بعضُه بالسبع لغاتٍ، كما في قوله: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠] و﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف: ١٢]. قال القرطبي: ذهبَ إلى هذا القول أبو عبيد، واختاره ابن عطية. قال أبو عبيد: وبعض اللغات أسعدُ به من بعض، وقال القاضي الباقلاني: ومعنى قول عثمان: إنه نزل بلسان قريش، أي: معظمه، ولم يقم دليلٌ على أن جميعه بلغة قريش كله، قال الله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، ولم يقل: قرشياً. قال: واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولاً واحداً، يعني حجازها ويمنها، وكذلك قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر، قال: لأنَّ غير لغة قريش موجودةٌ في صحيح القراءات

بتحقيق الهمزات، فإن قريشاً لا تهمز. وقال ابن عطية: قال ابن عباس: ما كنت أدري ما معنى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١]، حتى سمعتُ أعرابياً يقول لبئر ابتدأ حفرها: أنا فطرتُها.

القول الثالث: أن لغات القرآن السبع منحصرةٌ في مُضر على اختلاف قبائلها خاصة؛ لقول عثمان: إن القرآن نزل بلغة قريش، وقريش هم بنو النضر بن الحارث على الصحيح من أقوال أهل النسب، كما نطق به الحديث في **«سنن ابن ماجه»**[1] وغيره.

القول الرابع وحكاه الباقلاني عن بعض العلماء ـ: أن وجوه القراءات ترجع إلى سبعة أشياء، منها ما تتغير حركته ولا تتغير صورته ولا معناه مثل: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ [الشعراء: ١٣] و «يضيقَ»، ومنها ما لا تتغير صورته ويختلف معناه مثل: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩] و «باعد بين أسفارنا»، وقد يكون الاختلاف في الصورة والمعنى بالحرف، مثل: ﴿نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، و«نَنشُرُها»، أو بالكلمة مع بقاء المعنى مثل: ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]، أو «كالصوف المنفوش» أو باختلاف الكلمة بالتقدم والتأخر، مثل: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩]، أو «سكرة الحق بالموت»، أو بالزيادة مثل «تسع وتسعون نعجة أنثى»، «وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين»، «فإنَّ الله من بعد إكراههنَّ لهنَّ غفور».

القول الخامس: أن المراد بالأحرف السبعة معاني القرآن، وهي: أمر، ونهي، ووعد، ووعيد، وقصص، ومجادلة، وأمثال. قال ابن عطية: وهذا ضعيف؛ لأنَّ هذه لا تُسمَّى حروفاً، وأيضاً فالإجماع أنَّ التوسعة لم تقع في تحليل حلال، ولا في تغيير شيء من المعاني، وقد أورد القاضي الباقلاني في هذا حديثاً، ثم قال: وليست هذه هي التي أجاز لهم القُرَّاء بها.

---

(١) سنن ابن ماجه (٢٦١٢) وفيه «النضر بن كنانة» بدل «النضر بن الحارث».

فصـــل

قال القرطبي: قال كثيرٌ من علمائنا كالداودي وابن أبي صُفرة وغيرهما: هذه القراءات السبع التي تُنسَبُ لهؤلاء القُرَّاء السبعة ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها، وإنما هي راجعةٌ إلى حرفٍ واحدٍ من السبعة وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف. ذكره ابن النحاس وغيره.

قال القرطبي: وقد سوَّغ كل واحدٍ من القُرَّاء السبعة قراءة الآخر وأجازها، وإنما اختار القراءة المنسوبة إليه لأنه رآها أحسنَ وأولى عنده. قال: وقد أجمع المسلمون في هذه الأمصار على الاعتماد على ما صحَّ عن هؤلاء الأئمة فيما روَوه ورأَوه من القراءات، وكتبوا في ذلك مصنفات، واستمرَّ الاجتماع على الصواب، وحصل ما وعد الله به من حِفْظ الكتاب[1].

قال البخاري، رحمه الله:

تأليـــف القـــرآن

حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام بن يوسف، أنَّ ابن جُرَيجٍ أخبرهم قال: وأخبرني يوسف بن ماهِك قال: إني لعند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، إذ جاءها عراقيٌّ فقال: أيُّ الكفَن خير؟ قالت: ويحك! وما يضرُّكَ؟ قال: يا أمَّ المؤمنين، أريني مُصحفَكِ. قالت: لِمَ؟ قال: لعلِّي أولِّفُ القرآنَ عليه، فإنه يقرأُ غيرَ مؤلَّفٍ. قالت: وما يضرُّكَ أيَّه قرأتَ قبلُ، إنما أولُ ما نزَلَ منه سورةٌ من المفصَّلِ فيها ذِكْرُ الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزَلَ أولُ شيء: ولا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندَعُ الخمر أبداً، ولو نزَلَ: لا تزنوا، لقالوا: لا ندَعُ الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمدٍ ﷺ وإني لجارية ألعبُ: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر:٤٦]، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا

(١) تفسير القرطبي ١/٣٦ ـ ٤٠.

عنده، قال: فأخرجَتْ له المصحفَ فأمْلَتْ عليه السُّوَر[١].

وهكذا رواه النسائي من حديث ابن جُريج، به[٢].

والمراد من التأليف ها هنا ترتيبُ سُوَرِه. وهذا العراقي سأل أولاً عن أيِّ الكفن خير ـ أي: أفضل ـ فأخبرته عائشة رضي الله عنها أنَّ هذا لا ينبغي أن يُعتنى بالسؤال عنه ولا القصد ولا الاستعداد، فإن في هذا تكلُّفاً لا طائل تحته، وكانوا في ذلك الزمان يصفون أهل العراق بالتعنُّت في الأسئلة، كما سأل بعضهم عبد الله بن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب، فقال عبد الله بن عمر: انظروا أهل العراق، يسألون عن دمِ البعوضة، وقد قتلوا ابنَ بنت رسول الله ﷺ![٣].

ولهذا لم تبالغْ معه عائشةُ رضي الله عنها في الكلام؛ لئلا يُظنَّ أن ذلك أمرٌ مُهِمٌّ، وإلا فقد روى أحمد، وأهل السنن من حديث سَمُرة وابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: «**البَسوا من ثيابكم البياض، وكفِّنوا فيها موتاكم، فإنها أطهرُ وأطيب**» وصحَّحه الترمذي من الوجهين[٤].

وفي «**الصحيحين**» عن عائشةَ رضي الله عنها أنها قالت: كُفِّنَ رسولَ الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيضٍ سَحولية، ليس فيها قميصٌ ولا عمامة[٥]. وهذا محرَّرٌ في باب الكفن من كتاب الجنائز.

ثم سألها عن ترتيب القرآن، فانتقل على سؤال كبير، وأخبرها أنه يُقرأ غير

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٩٣).

(٢) سنن النسائي الكبرى (٧٩٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٩٤).

(٤) حديث صحيح، وهو في مسند أحمد (٢٠٢١٨)، وسنن الترمذي (٢٨١٠)، وسنن النسائي ٤/ ٣٤ و٨/ ٢٠٥، وسنن ابن ماجه (٣٥٦٧) من حديث سمرة، ومسند أحمد (٢٢١٩)، وسنن أبي داود (٣٨٧٨)، وسنن الترمذي (٩٩٤)، وسنن النسائي ٨/ ١٤٩ من حديث ابن عباس، وليس في حديثه قوله: «فإنها أطهر وأطيب».

(٥) صحيح البخاري (١٢٦٤)، وصحيح مسلم (٩٤١).

مؤلَّف، أي: غير مرتب السُّوَر. وكأنَّ هذا قبل أن يبعث أمير المؤمنين عثمان ﷺ إلى الآفاق بالمصاحف الأئمة المؤلفة على هذا الترتيب المشهور اليوم، وقبل الإلزام به، والله أعلم.

ولهذا أخبرَتْه أنه لا يضرُّكَ بأيِّ سورةٍ بدأتَ، وأنَّ أول سورةٍ نزلَتْ فيها ذِكْرُ الجنة والنار، وهذه إن لم تكن «اقرأ» فقد يَحتمِلُ أنها أرادت اسمَ جنسٍ لِسَور المُفصَّل التي فيها الوعد والوعيد، ثم لمَّا انقاد الناس إلى التصديق أُمِروا ونُهوا بالتدريج أولاً فأولاً، وهذا من حكمة الله ورحمته، ومعنى هذا الكلام: أن هذه السورة أو السُّور التي فيها ذكر الجنة والنار ليس البداءة بها في أوائل المصاحف، مع أنها من أول ما نزل، وهذه البقرة والنساء من أوائل ما في المصحف، وقد نزلت عليه في المدينة وأنا عنده.

فأما ترتيب الآيات في السُّوَر فليس في ذلك رخصة، بل هو أمر توقيفيٌّ عن رسول الله ﷺ، كما تقدَّم تقريرُ ذلك؛ ولهذا لم تُرخِّص له في ذلك، بل أخرجت له مصحفها، فأملَتْ عليه آيَ السُّوَر، والله أعلم. وقول عائشة: لا يضرُّكَ بأيِّ سورةٍ بدأتَ، يدلُّ على أنه لو قدَّم بعضَ السُّوَر أو أخَّر، كما دلَّ عليه حديث حذيفة وابن مسعود، وهو في الصحيح: أنه عليه السلام قرأ في قيام الليل بالبقرة، ثم النساء، ثم آل عمران[1].

وقد حكى القرطبي عن أبي بكر بن الأنباري في كتاب الردِّ أنه قال: فمن أخَّرَ سورةً مقدَّمةً، أو قدَّم أخرى مؤخَّرةً، كمن أفسدَ نَظْمَ الآياتِ، وغيَّر الحروف والآيات، وكان مستنده اتباعَ مصحفِ عثمان ﷺ، فإنه مرتَّبٌ على هذا النحو المشهور، والظاهر أن ترتيب السُّوَر فيه منه ما هو راجعٌ إلى رأي عثمان، وذلك ظاهرٌ في سؤال ابن عباس له في ترك البسملة في أول براءة، وذِكْرِه الأنفال من الطُّوَل، والحديث في الترمذي وغيره بإسنادٍ جيدٍ قوي[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧٢).

(٢) سنن الترمذي (٣٠٨٦).

وقد ذكرنا عن عليٍّ أنه كان قد عزَمَ على ترتيب القرآن بحسب نزوله؛ ولهذا حكى القاضي الباقلاني أنَّ أول مصحفه كان: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وأول مصحف ابن مسعود: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، ثم البقرة، ثم النساء على ترتيب مختلف، وأول مصحف أُبيٍّ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، ثم النساء، ثم آل عمران، ثم الأنعام، ثم المائدة، ثم كذا على اختلاف شديد.

ثم قال القاضي: ويَحتمل أن ترتيب السُّوَر في المصحف على ما هو عليه اليوم من اجتهاد الصحابة ﷺ، وكذا ذكره مكي في تفسير سورة براءة، قال: فأما ترتيب الآيات والبسملة في الأوائل فهو من النبيِّ ﷺ.

وقال ابن وهب في «جامعه»: سمعتُ سليمان بن بلال يقول: سُئِلَ ربيعة: لِمَ قدَّمْتَ البقرةَ وآلَ عمران، وقد نزل قبلهما بِضعٌ وثمانون سورة؟ فقال: قُدِّمتا وأُلِّفَ القرآنُ على علمٍ ممن ألَّفه، وقد أجمعوا على العلم بذلك، فهذا مما يُنتهى إليه ولا يُسأَلُ عنه. قال ابن وهب: وسمعتُ مالكاً يقول: إنما أُلِّف القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبيِّ ﷺ.

قال أبو الحسن بن بطَّال: إنما يجب[1] تأليف سُوَرِهِ في الرسم والخطِّ خاصةً، ولا يُعلَمُ أنَّ أحداً منهم قال: إن ترتيب ذلك واجبٌ في الصلاة وفي قراءة القرآن ودَرْسه، أنه لا يحِلُّ لأحدٍ أن يقرأ الكهفَ قبل البقرة، ولا الحجَّ قبل[2] الكهف، ألا ترى إلى قول عائشة: ولا يضرُّكَ أيَّه قرأتَ قبل. وقد كان النبي ﷺ يقرأ في الصلاة السورة في ركعة، ثم يقرأ في الركعة الأخرى بغير السورة التي تليها.

وأما ما رُوي عن ابن مسعود وابن عمر أنهما كَرِها أن يقرأ القرآن منكوساً، وقالا: إنما ذلك منكوس القلب، فإنما عنَيا بذلك من يقرأ السورة منكوسةً فيبتدئ

---

(١) في النسخة الخطية «إنا نجد»، والمثبت من تفسير القرطبي.

(٢) في النسخة الخطية «بعد» وهو خطأ، والصواب ما أثبته من نسخة الشيخ محمد رشيد رضا، ومن تفسير القرطبي.

بآخرها إلى أولها، فإن ذلك حرامٌ محظور[١].

ثم قال البخاري: حدثنا آدم، عن شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعتُ عبد الرحمن بن يزيد قال: سمعتُ ابنَ مسعودٍ يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: إنهنَّ من العِتاق الأول، وهنَّ من تِلادي[٢]. انفرد البخاري بإخراجه، والمراد منه ذِكْرُ ترتيب هذه السور في مصحف ابن مسعود كالمصاحف العثمانية، وقوله: «من العتاق الأول» أي: من قديم ما نزل، وقوله: «وهُنَّ من تِلادي» أي: من قديم ما قَنيتُ وحفِظْتُ. والتالِد في لغتهم: قديم المال والمتاع، والطأَرفُ حديثُه وجديدُه، والله أعلم.

وحدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، حدثنا أبو إسحاق، سمع البراء بن عازب يقول: تعلَّمتُ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قبل أن يقدم النبيُّ ﷺ[٣]. وهذا متَّفقٌ عليه، وهو قطعة من حديث الهجرة، والمراد منه أن ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ مكية نزلت قبل الهجرة، والله أعلم.

ثم قال: حدثنا عَبْدان، عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن شقيقٍ قال: قال عبد الله: لقد علمتُ النظائر التي كان النبيُّ ﷺ يقرأهُنَّ اثنين اثنين في كل ركعة، فقام عبد الله، ودخل معه علقمة، وخرج علقمة فسألناه، فقال: عشرون سورةً من أول المُفصَّل على تأليف ابن مسعود، آخرهُنَّ من الحواميم حم الدخان، وعمَّ يتساءلون[٤].

وهذا التأليف الذي عن ابن مسعود غريبٌ مخالفٌ لتأليف عثمان ﷺ، فإن المُفصَّل في مصحف عثمان ﷺ من سورة الحجرات إلى آخره، وسورةُ الدخان لا

---

(١) تفسير القرطبي ١/ ٥٢ ـ ٥٣.

(٢) صحيح البخاري (٤٩٩٤).

(٣) صحيح البخاري (٤٩٩٥).

(٤) صحيح البخاري (٤٩٩٦).

تدخل فيه بوجه، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي، عن جدِّه أوس بن حذيفة قال: كنت في الوفد الذين أتوا النبيَّ ﷺ، فذكر حديثاً فيه: أن رسول الله ﷺ كان يسمُرُ معهم بعد العشاء، فمكث عنَّا ليلةً لم يأتِنا، حتى طال ذلك علينا بعد العشاء. قال قلنا: ما أمكثَكَ عنَّا يا رسول الله؟ قال: **«طرأ عليَّ حزبٌ من القرآن، فأردتُ ألا أخرج حتى أقضيه»**. قال: فسألنا أصحابَ رسول الله ﷺ حين أصبحنا. قال: قلنا: كيف تُحزِّبون القرآن؟ قالوا: نُحزِّبه ثلاث سُوَر، وخمس سُوَر، وسبع سُور، وتسع سُور، وإحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من قاف حتى يختم[١].

ورواه أبو داود، وابن ماجه من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفي، به[٢]. وهذا إسناد حسن[٣].

فصـــل

فأمَّا نَقْطُ المصحف وشَكْلُه، فيُقال: إن أول مَنْ أمر به عبد الملك بن مروان، فتصدَّى لذلك الحجاج وهو بواسط، فأمر الحسن البصري ويحيى بن يَعْمُر، فَفَعلا ذلك، ويقال: إن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدُّؤَلي، وذكروا أنه كان لمحمد ابن سيرين مصحفٌ قد نقطه له يحيى بن يَعمُر، والله أعلم.

وأما كتابة الأعشار على الحواشي فيُنسب إلى الحجاج أيضاً، وقيل: بل أول من فعله المأمون، وحكى أبو عَمرو الداني عن ابن مسعود أنه كره التعشير في المصحف، وكان يحكُّه[٤]، وكرِهَ مجاهدٌ ذلك أيضاً[٥].

---

(١) مسند أحمد (١٦١٦٦).

(٢) سنن أبي داود (١٣٩٣)، وسنن ابن ماجه (١٣٤٥).

(٣) بل ضعيف، لضعف عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي.

(٤) وهو أثر حسن عن ابن مسعود، أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص٢٤٠ ـ ٢٤١، وابن أبي شيبة ٢/٣٨ و ٦/١٤٩، وابن الضريس (٣٦) و (٤٨)، وابن أبي داود في «المصاحف» (٤٢٩ ـ ٤٣٣).

(٥) كما أخرج ابن أبي شيبة ٢/٢٣٩، وابن أبي داود (٤٣٦)، وفي إسنادهما ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف.

وقال مالك: لا بأس به بالحبر، فأما بالألوان المصبغة فلا، وأكره تعداد آيِ السُّوَر في أولها في المصاحف الأمهات، فأما ما يتعلم فيه الغلمان فلا أرى به بأساً[١].

وقال قتادة: بدؤوا فنقَّطوا، ثم خمَّسوا، ثم عشَّروا[٢].

وقال يحيى بن أبي كثير: أول ما أحدثوا النقط على الياء والتاء، وقالوا: لا بأس به، هو نور له، أحدثوا نقطاً عند آخر الآي، ثم أحدثوا الفواتح والخواتم[٣].

ورأى إبراهيم النَّخَعي فاتحة سورة كذا، فأمر بمحْوِها وقال: قال ابن مسعود: لا تخلطوا بكتاب الله ما ليس فيه[٤]. قال أبو عمرو الداني: ثم قد أطبق المسلمون في ذلك في سائر الآفاق على جواز ذلك في الأمهات وغيرها.

ثم قال البخاري رحمه الله:

كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم

قال مسروق عن عائشة، عن فاطمة رضي الله عنها: أسرَّ إليَّ رسول الله ﷺ أن جبريل كان يُعارضني بالقرآن كلَّ سنةٍ، وأنه عارضني العامَ مرتين، ولا أُراهُ إلا حضرَ أجلي[٥]. هكذا ذكره معلَّقاً، وقد أسنده في موضعٍ آخر[٦].

ثم قال: حدثنا يحيى بن قَزَعة، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن الزهري، عن عُبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قال: كان النبيُّ ﷺ أجودَ الناس بالخير، وأجودَ

---

(١) أخرجه أبو عمر الداني في «المحكم في نقط المصاحف» ص١٣ و ١٥ و ١٧ .

(٢) أخرجه أبو عمرو الداني في «المحكم في نقط المصاحف» ص٢ و ١٥ .

(٣) أخرجه أبو عمرو الداني في «المحكم في نقط المصاحف» ص٢ و ١٧ و ٣٥ .

(٤) أخرجه أبو عمرو الداني في «المحكم في نقط المصاحف» ص١٦ .

(٥) صحيح البخاري كما في فتح الباري ٩/ ٤٣ .

(٦) صحيح البخاري (٣٦٢٤) .